مأمون غريب

أصحاب الرسول ﷺ من الأعاجم

دار الهدى للكتاب

تليفون : ٠٤٧/٣٦٠٤٦٠١ - ٠٤٧/٣٦٠٣٦٠١ -٠٤٧/٣٦٠٢٦٠١

مطابع أمون

٤ الفيروز من ش إسماعيل اباظة - لاظوغلى - القاهرة

تليفون : ٧٩٤٤٥١٧ - ٧٩٤٤٣٥٦

- الطبعة الأولى : ١٤٢٦ / ٢٠٠٥م

- رقم الإيداع : ٤٢٦٢ / ٢٠٠٥

- الترقيم الدولي : **I.S.B.N 977 - 5798 - 32 - 9**

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾

[سورة: الحجرات]

●●●

«إن ربكم واحد وأن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، فضل إلا بالتقوى».

[من كلمات الرسول في خطبة الوداع]

«أصحابى كالنجوم بأيهم أقتديتم اهتديتم»

[حديث شريف]

.. .. ..

صحابة رسول لله هم هؤلاء الذين آمنوا برسالة الإسلام، والتقوا برسول الله ﷺ، وكانوا مصابيح هداية للناس فى كل العصور لمآثرهم، ولأن رسول الله ﷺ قال عنهم: «**أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**».

وقد ضمت مدرسة الرسول هذه النخبة الممتازة من صحابته الذين نشروا عنه الأحاديث النبوية الشريفة، واقتدوا بسيرته، ومنهم من جاهد فى سبيل الإسلام بدمه فكتبت دماؤهم الغالية أعظم صفحات الخلود، حيث نشروا حضارة الإسلام فى الدنيا، وصنعوا خريطة جديدة، لعالم جديد، يرفرف عليه أعلام التوحيد والتقدم والعلم والازدهار.. خلقوا عالما يتسم بالجلال والجمال، والقدوة الحسنة، والعمل من أجل الدين والدنيا، ويعرف ابن حجر العسقلانى الصحابى فيقول: أنه من لقى الرسول عليه الصلاة والسلام، وآمن به ومات على الإسلام.

ويقول عن أبعاد هذا اللقاء:

فيدخل فيه من لقيه: من طالت مجالسته له أو قصرت، ومن روى عنه أو لم يرو، ومن غزا معه أو لم يغز، ومن رآه رؤية ولو لم يجالسه، ولم

يره لعارض كالعمى، ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافرا ولو اسلم بعد ذلك إذا لم يجتمع به مرة أخرى».

مهما يكن من شئ فإننا سوف نتوقف عند بعض أعلام الصحابة من الأعاجم من أمثال سلمان الفارسى، وصهيب الرومى، وبلال الحبشى فهذا المثلث العظيم كان لكل واحد منهم قصة جميلة مع الإسلام ونبى الإسلام، وكان لكل منهم دورا بارزا فى الحياة الإسلامية، كما أن لكل واحد من هؤلاء تاريخا ناصعا مجيدا، يعطى المثل الأعلى للإنسان الذى ينشهد ما عند الله وخدمة البشر فى كل العصور.

وإذا كان ابن حجر العسقلانى قد أورد فى كتابه «الإصابة فى تمييز الصحابة» الحديث عن ابرهة الحبشى الذى التجأ إليه المسلمون المهاجرون من طغيان مكة، فأكرم وفادتهم، وأعده صحابيا رغم أنه لم ير رسول الله، ولكنه آمن بدعوته، فمن هنا كان التوقف عند هذه الشخصية الكريمة التى خلدت فى التاريخ لموقفها من الدعوة الإسلامية الخالدة.

ومن خلال صفحات هذا الكتاب، سوف نرى نماذج عظيمة لهؤلاء الصحابة الأفذاذ وأدوارهم وكيف تخرجوا من مدرسة رسول الله، فكانوا رسل هداية، ورمز جلال، وقدوة لمن يريد أن ينشد القدوة الحسنة فى كل العصور

●●●

سليمان الفارسى

● سلمان منا آل البيت

[حديث شريف]

● «علم العلم الأول الآخر، بحر لا ينزف، وهومنا آل البيت»

[على ابن ابى طالب]

● أنا ابن الإسلام

[سلمان الفارسى]



(١)

سلمان الفارسى صحابى جليل، اعتبره الرسول عليه الصلا والسلام من آل البيت حيث قال: «**سلمان منا آل البيت**»

وهذه الشخصية البالغة الثراء. القادم من بلاد الفرس بعد رحلة مضنية للبحث عن الحقية، تستحق أن نتأملها، وأن نتوقف عندها طويلا، لأنها ليست مجرد سيرة إنسان عاش حياته ثم رحل عن دنيانا كما يأتى ويرحل أى إنسان، ولكنها حياة عميقة وعريضة، تركت بصمات لا تنسى فى الحياة، لأنها تركت مثلا إنسانيا رائعا، لإنسان قرر أن يعرف وأن يدرس وأن يصل إلى الحقيقة، رغم الصعوبات التى صادفته فى حياته، ورغم الأشواك التى كانت فى طريقة.. ورغم العادات والتقاليد التى كانت يمكن أن تحول بينه وبين تحقيق أماله.. رغم كل ما صادفة من مشاكل منذ قرر أن يبحث عن الحقيقة.. فى منزله حيث ان والده كان دهقانا يملك الثراء.. ويملك الجاه، ويعرف عن المجوسية الكثير، ولكنه لم يقتنع بما رأى فى بيته من اعتقادات حول النار وتقديسها، فالنار يمكن أن تنطفئ من تلقاء ذاتها لو

لم نزودها بمزيد من الوقود، أو لو سكبت فوقها الماء.. فكيف تكون هذه النار إلها معبودا!

إنهم كانوا يعتنقون الماجوسية، والمجوسية كما يقول الدكتور محمد عبدالمنعم القيعى: هم عبدة النار، ويقولون إن للعالم أصلين: النور والظلمة وكانوا يستعملون النجاسات فى تدينهم.

وقد نشأت المجوسية فى بلاد فارس، وكان معتقوها قد نبغوا فى علم التنجيم.

وهم فرق متعددة، يعتقدون أن حربا قامت بين الله والشيطان آلاف السنين توسطت بينهما الملائكة! ولهم أربع صلوات، أو سبع، فى اليوم والليلة تبدأ من وقت الزوال.

ومنهم المزدكيون الذين أباحوا الزنا وكل المحرمات وانكروا ملكية الفرد الخاصة.

وأحيانا كانوا يأمرون بقتل الأنفس للخلاص من الشر والظلمة.

وكل هذه الأفكار واضحة البطلان، وإنما ذكرتهما لبيان أن من يردد أية فكرة من هذه الأفكار، فهو مجوسى فى حقيقته مهما تسمى بأسماء.

والمزدكية يتحدث عنها أيضا الشيخ محمد أبو زهرة ويصفها بالمذهب المخرب وهو مذهب «مزدك» الذى أنتشر فى فارس. وأساسة إباحة النساء، فلا زواج ولا ارتباط، بل يسافد الإنسان كما يسافد الحيوان من غير أى قيد من رابطة حافظة للأنساب، وراعية للطفولة المقبلة. كما أباح الأموال. فلا

ملكية تحمى إنسانا من إنسان، بل كل الأموال مباحة للجميع من غير أى نظام، فهو يمنع القيود فيها، كما يمنع القيود فى النساء.

وجملة هذا المذهب أنه يبيح الانطلاق من كل قيد، كما أن الحيوان فى البادية أو الغابة منطلق، لا يقيد إلا بقوة غير التى ترسم له حدا لا يتعداه.

والوهم الذى قام عليه ذلك المذهب أن الشحناء والبغضاء تتوالدان من احتياز النساء بالزواج أو نحوه، واحتياز المال بالملكية، ويحسب أنه إذا زالت روابط الزوجية، وزالت الملكية للأموال يكون الناس فى سلام دون خصام، وياليته اعتبر الإنسان كالحيوان لأنه مع زوال الملكية والعقود الرابطة للعلاقة بين الذكر والأنثى فى الحيوان لم تزل القوة الغالبة والافتراس بين الحيوانات المتحدة فى الجنس والأرومة المختلفة.

ومهما يكن فقد انتشر المذهب فى فارس، وضاعت الإنساب، واعتنقه بعض الأكاسرة، وساد وسار مدة حكم هذا الكسرى. ولكن زال ملكه، قبيل مبعث النبى ﷺ، فانظر كيف تأذى بهم ما سموه حكم العقل»

فهذه هى المجوسية التى سادت فى بلاد فارس.

وهذه هى المعتقدات التى كان يعتنقها أهلها، وكان والد سلمان واحد منهم، بل دهتانا أو أحد حراس هذه العقيدة.

وكان من الطبيعى أن ينشأ سلمان ويعتنق هذا المذهب وكان يمكن أن يتمتع بثراء والده الواسع ونفوذه، وخاصة أنه يملك من الأموال والأرض ما يجعله سيدا على الأخرين، ولكن (سلمان) أثر ألا يكون واحدا من القطيع، يسير كما يسير الناس بلا عقل ولا فكر، لا لشئ إلا أنهم وجدوا أن أباءهم

يفعلون نفس الشئ.. لقد آثر سلمان أن يعرف الحقيقة، وأن يصل إليها، ويجد فيها خلاص روحه وفكره، وليس خلاص روحه وفكرة يأتى باعتناق المجوسية.

لقد خرج ذات يوم وهو فى سنه الصغيرة تلك، وسمع دقات أجراس كنيسة، وتناهى إلى سمعه تراتيل، وتساءل فيما بينه وبين نفسه.. ما معنى هذا كله؟

وعرف أنهم يعبدون الله لا النهار، واستراحت نفسه لتلك العبادة، فهى أرقى من عبادة النار الذى يشعلها الإنسان بنفسه ثم يعبدها!

إن المسيحية تتحدث عن الله خالق كل شئ فى الوجود، وباعث الحياة فى كل شئ، وتتحدث عن التعاطف الإنسانى والحب الإنسانى وتحترم القيم، وتحترم الضعيف، وأن المسيح هو التجسيد الحى للحب.. وعرف كيف عانى السيد المسيح فى سيبل نشر دعوته فى الحب والتسامح بين البشر.

مالت نفسه إلى المسيحية وكان من الطبيعى أن يعرف والده ذلك.. وكان من الطبيعى أيضا أن يحمله على العودة إلى المجوسية، ولكن سلمان رفض ذلك بشدة، ولم يجد فى نفسه دافعا إلى العودة إلى عبادة لا تتفق مع العقل والمنطق.

ويعبر سلمان الفارسى عن هذه الحقبة من حياته، وعن هذه التجربة التى غيرت من نظرته إلى الأمور بقوله:

«كان لأبى ضيعة عظيمة فشغل فى بنيان له يوما فقال لى: يابنى إنى قد شغلت فى بنيآنى هذا اليوم عن ضيعتى، فاذهب إليها فاطلعّها وأمرنى

فيها ببعض ما يريد، ثم قال لى ولا تحتبس عنى، فإنك إن احتبست عنى كنت أهم إلىَّ من ضيعتى وشغلتنى عن كل شئ من أمرى»

ويقول سلمان متابعا حديثه وهو يتحدث عن سماعه لتراتيل الكنيسة:

فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون، فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم، ورغبت فى أمرهم، وقلت: هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه، فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس، وتركت ضيعة أبى فلم أتها، ثم قلت لهم: أين أصل هذا الدين ؟»

لقد سأله والده عن رحلة هذا اليوم، وعرف منه ما عرف من حقيقة ميله إلى الدين الذى عرفه، وحاول أن يثنيه عن هذه العقيدة الجديدة، ولكن هذه العقيدة كانت قد استقرت فى قلبه وعقله، فمن الصعب المقارنة بين دين سماوى، ومذهب إنسانى خرافى يعتنقه الإنسان!!

لقد صفده والده بالأصفاد ولكنه لم يرضخ لرغبة والده فى العودة إلى دين الأباء والأجداد.. واستطاع أن يفك قيوده، ويهرب متجها جنوب الشام، حيث علم أن أصل الدين هناك.

اتجه إلى الشام برفقة قافلة كانت فى طريقها إليها، وفى أحد الكنائس عرض على أسقفها أن يعيش لخدمة الكنيسة وخدمته، ووافق الرجل، ولكن سلمان لاحظ أن هذا الأسقف كان سيئ الخلق، فهو يقول كلاما ويفعل عكسه، فقد كان يكتنز أموال الصدقات ويأخذها لنفسه، عرف عنه سلمان ذلك وانطوت نفسه على الأسى والحسرة، وهو يرى هذا الأسقف يضع الأموال الذى يأخذها من الناس ويخفيها فى مكان ما.. وعندما مات هذا

الأسقف، أعلم سلمان الناس بحقيقته ودلهم على مكان ما اكتنز من أموالهم..! وخلفه أسقف آخر.. كان نقى السريرة، لا تمتد يده إلى أموال الناس، وعندما حضره الموت **سأله سلمان**:

- يا فلان إنى كنت معك فأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك. وقد حضرك ما ترى من أمر الله تعالى.. فإلى من توصى بى؟ وبم تأمرنى؟

قال له الأسقف: أى بنى والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه، فقد هلك الناس وبدلوا، وتركوا أكثر ما كانوا عليه إلا رجلا بالموصل - هو فلان - وهو ما كنت عليه فالحق به.

* * *

وذهب سلمان بعد رحيل صاحبه إلى الموصل، بحثا عن الرجل الذى حدثه عنه الأسقف قبل رحيله، وسمع منه قصته، فرحب به الرجل.. وعاش معه سلمان يتعلم من علمه، ويتعبد كما يراه يتعبد.

ولكن لم يمض طويل وقت حتى كان الرجل يحتضر، وأصبح لزاما على الباحث عن الحقيقة أن يعرف منه قبل الرحيل إلى من يواصل رحلة بحثه عن الحقيقة، فدله على رجل بنصيبين، الذى يدله هو الآخر على رجل صالح فى عمورية!

ترى هل تطيب له الحياة فى عمورية؟

وهل يستقر بها؟

وماذا تعلم من الحياة مع راهب عمورية؟

لقد كتب على سلمان أن يظل فى بحثه الدائب عن الحقيقة .. إنه يبحث عن استقرار نفسه وسريرته، وأن تغمر أنوار حب الله قلبه.

وقد تعلم من صاحب عمورية، أن يعيش حياته، وأن يعمل، وأن يكسب قوته بيده، وألا يمل التأمل فى ملكوت الله.

وعمل الرجل بنصيحه صاحبه .. وأصبح يمتلك بعض البقر والغنم، وأخذ يتأمل بتعمق شديد ما حوله من الأمور .. ما يعترى الكون من تغيرات الليل والنهار، وتتابع الفصول، وما يعترى الناس أنفسهم من حالات الغضب والسرور .. الألم والأمل .. القناعة والطمع .. لقد أصبح إنسانا آخر .. صهرته الحياة فى بوتقتها، فأصبح على وعى وفهم بطبائع الناس. ولكنه يعرف أن صاحب (عمورية) فى النزع الأخير، وأنه هو الآخر سيتركه ويرحل إلى العالم الاخر فيسرع إليه ليسمع منه نصائحه الأخيرة.

ويكون السؤال الذى كان يسأله دائما كلما ودع صاحبه الذى يلازمه: إلى أين أذهب؟

ويسمع هذه المرة من صاحب عمورية إجابة غريبة

- أى بنى.

والله ما أعلم أنه أصبح فى الأرض أحد على مثل ما كنا عليه، آمرك أن تأتيه، ولكنه قد أظل زمان نبى، وهو مبعوث بدين إبراهيم عليه السلام يخرج بأرض العرب، مهاجره إلى أرض بين (حرتين) بينهما نخل .. به علامات لا تخفى، يأكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل. إنهم رجال الله، يعملون

فى صمت، ويتواصون بالحق، ويترقبون ظهور النور الجديد، ويعرفون النبى بعلاماته، ويتدارسون بينهم صفاته».

كان على الباحث عن الحقيقة، أن يتوجه إلى بلاد العرب.. وكان عليه أن ينتظر قافلة من تلك القوافل الذاهبة إليها، يعطيهم ما يملك من بقر وماعز على أن ينقلونه إلى هذه الأرض التى تشهد رسالة نبى جديد.. ينشر النور والهدى بين ربوع البشر، ويبشر بدعوة إبراهيم، ودعوة إبراهيم كانت إسلام الوجه لله، وعبادة الله وحده.. إنه سوف يرى نبى آخر الزمان، وسوف يؤمن به عندما يوقن من العلامات التى قالها له راهب عمورية.. يومها سوف يشعر براحة القلب وراحة العقل، ويستقر قلبه على الإيمان الحقيقى، ويرى بعينيه النبى الخاتم وهو يبشر بنور دعوته أمته التى أضناها لهيب الخلافات والحروب، وانغمست إلى أذنيها فى الرذائل، وعبدت الأصنام وأخضعت رقابها لآلهة صماء بكماء عمياء.. إنه يقترب من نور الهداية الحقيقية.. و.. مع أول قافلة متجهة إلى أرض العرب أعطاها بعض ما يملك ليأخذوه معهم إلى أرض الرسالة الخاتمة.

●●●

(٢)

لم يكن سلمان الفارسى يدرى وقد انضم إلى القافلة المتجهة إلى يثرب، أن القافلة ستخونه، وأنهم سوف يبعونه رقيقا لأحد اليهود عندما وصل - وادى القرى - وأنه ظل هناك إلى أن جاء أحد يهود بنى قريظة، فاشتراه وأخذه معه إلى يثرب.

ولم يكن يدرى يومها أن نبى الإسلام كان ينادى بدعوته فى مكة، وقد دخل فى دينه المستضعين من الرجال، الذين لم يسلموا من أذى مكة وسفهائها، ولكن الدعوة كانت تشق طريقها رغم المصاعب، وأن المسلمين يتزايدون.. وقد هاجر منهم من هاجر إلى الحبشة، ثم كانت هجرة الرسول العظيم نفسه عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، بعد أن سمح لأصحابه بالهجرة إليها، بعد بيعتى العقبة الأولى والثانية.

وكان لهجرة الرسول علية الصلاة والسلام دوى هائل، إنها مرحلة جديدة فى الدعوة الإسلامية، مرحلة تنطلق فيها إلى أفاق أرحب وأوسع، فقد زال الحصار على الدعوة التى كانت تفرضه مكة بطغيانها وصلفها عليها، وفى المدينة كان الشوق إلى هذه الدعوة الجديدة، والنبى الذى يعيش هاديا للبشرية كلها، فلم يعد هناك بيت فى المدينة لم يعرف بقدوم النبى، وكيف لا يعرفون وقد استقبلوه بالفرحة والغناء.

طلع البدر علينا..
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا..
ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا..
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة..
مرحبا يا خير داع

ويصف سلمان الفارسى هذه اللحظة الفارقة فى حياته بقوله:

وأنى لفى رأس نخلة يوما، وصاحبى جالس تحتها إذ أقبل رجل من يهود، من بنى عمه، فقال يخاطبه:

- قاتل الله بنى قيله إنهم ليتقاصفون على رجل بقباء، قادم من مكة يزعمون أنه نبى.

«فوالله ما هو إلا أن قالها حتى أخذتنى العُرواء، فرجفت النخلة حتى كدت أسقط فوق صاحبى، ثم نزلت سريعا أقول: ماذا تقول؟ ما الخبر؟ فرفع سيدى يده ولكزنى لكزة شديدة، ثم قال: - مالك ولهذا أقبل على عملك.

فأقبلت على عملى.

ولما أمسيت جمعت ما كان عندى ثم خرجت حتى جئت رسول الله ﷺ بقباء.. فدخلت عليه ومعه نفر من أصحابه. فقلت له:

- إنكم أهل حاجة وغربة، وقد كان عندى طعام نذرته للصدقة، فلما ذكر لى مكانكم رأيتكم أحق الناس به فجئتكم به ثم وضعته.

فقال الرسول لأصحابه:

- كلوا باسم الله.

وأمسك هو فلم يبسط إليه بيدا.

فلقت فى نفسى:

- هذه والله واحدة.. إنه لا يأكل الصدقة! ثم رجعت وعدت إلى الرسول فى الغداة، أحمل طعاما، وقلت له عليه السلام:

ـ إنى رأيتك لا تأكل الصدقة، وقد كان عندى شئ أحب أن أكرمك به هدية، ووضعته بين يديه، فقال لأصحابه:

ـ كلوا باسم الله وأكل معهم.

قلت لنفسى:

هذه والله الثانية إنه يأكل الهدية.

ـ ثم رجعت فمكثت ما شاء الله، ثم أتيته، فوجدته فى البقيع قد تبع جنازة، وحوله أصحابه وعليه شملتان مؤتزرا بواحدة، مرتديا الأخرى، فسلمت عليه، ثم عدلت أنظر أعلى ظهره، فعرف أنى أريد ذلك، فألقى بردته على كاهله، فإذا العلامة بين كتفيه.. خاتم النبوة، كما وصفه لى صاحبى.

فأكببت عليه أقبله وأبكى.

ثم دعانى عليه الصلا والسلام فجلست بين يديه، وحدثته حديثى كما أحدثكم الآن.

ثم أسلمت:

وحال الرق بينى وبين شهود (بدر) و (أحد) وفى ذات يوم قال الرسول عليه الصلاة والسلام:

ـ كاتب سيدك حتى يُعتقك.

فكاتبته.

وأمر الرسول أصحابه كى يعاونوننى، وحرر الله رقبتى، وعشت حرا مسلما، وشهدت مع رسول الله غزوة الخندق، والمشاهد كلها.

وبدخوله الإسلام أصبح إنسانا جديدا.. إن ما كان يبحث عنه منذ وعى معنى الحياة، وأهمية أن يكون للإنسان عقيدة عليها يحيا وبها يموت.. قد وصل إليها، لقد وصل إلى الحقيقة.. وأن الإسلام هو الدين الخاتم، وأن هذه العقيدة قد جاءت لتخرج الإنسانية كلها من ظلمات الشرك والوثنية إلى أضواء الإيمان وعظمته التوحيد، وأن هذا الإسلام يرفع من قيمة الإنسان إلى أعلى ذرا.. وأنه عقيدة وشريعة وعبادات، ومن خلال هذا الاطار الإسلامى، يسمو الإنسان بانسانيته، ويرتقع بروحه، ويصل إلى أفاق من النور تغمر داخله، وتسمو بغرائزه.. ويصبح الإنسان إنسانا.

عرف سلمان أنه عرف الحقيقة التى يبحث عنها وأن حياته أصبح لها معنى وهدفا وغاية، وأنه لم يترك حنان أبيه، وتنازل عن الثروة والجاه، وتشرد فى بلاد الله الواسعة، حتى يجد ما تستريح إليه نفسه التواقة إلى المعرفة.. ووصل إلى ذلك - بحمد الله - وعليه أن يكون تلميذا فى هذه المدرسة العظيمة.. مدرسة الرسول عليه الصلاة والسلام، الذى وجد فيها العلم وأهمية أن نعرف أن لهذا الكون العظيم خالقا أعظم، وأهمية التقرب إليه من خلال العبادة، وأهمية أن تعرف عظمته من خلال قراءة الكون العظيم.

واستراحت نفسه التى كانت تتوق إلى اليقين حتى وصلت إليه، وشعر أن الحياة قد صفت له بعد العناء الشديد، وأصبح المسلمون له أخوه، والإسلام له وطنا، فلم يعد يشعر بهذه الغربة، عندما ترك بلاده فارس، بل أصبح واحد من آل البيت.

إنه ليتذكر جيدا يوم الخندق.. عندما أشار إلى النبى عليه الصلاة والسلام بحفر خندق حول المدينة، حتى لا تستطيع قوى الأحزاب أن تقتحم عليهم دورهم فى المدينة.

واستحسن الرسول الفكرة، وأمر أصحابه بتنفيذها ووقف عليه الصلاة والسلام بين أصحابه يشاركهم الحفر.

لا ينسى سلمان يومها عندما صاح الأنصار.

- سلمان منا.

وصاح المهاجرون:

- سلمان منا.

- فقال الرسول عليه الصلاة والسلام سلمان منا آل البيت.

وتروى كتب التراث أن سلمان أقام أياما مع أبى الدرداء فى دار واحدة، ورآه وهو يصوم النهار ويقوم الليل، فنصحه سلمان أن يأخذ الأمور بصورة أبسط وأسهل، ويتوخى الوسطية وقال له:

- إن لعينيك حقا، وإن لأهلك عليك حقا، صم وافطر، وصلّ ونم.

وعندما بلغ الرسول عليه الصلا والسلام ذلك قال:

- لقد أُشبعَ سلمان علما.

* * *

وقد رأى سلمان حدثا عجيبا، ظل فى ذاكرته طوال حياته.

لقد أشار على الرسول بحفر الخندق حول المدينة، وعمل الرسول بنفسه

فى عملية الحفر هذه، وإذا بصخرة عاتية تعترض طريق الذين يحفرون الخندق، لقد استعصت على الصحابة.

وعلم الرسول بذلك عندما أخبره سلمان الفارسى بذلك، فأخذ المعول بيده الشريفة، وضرب الصخر ضربة أصابها، وسطع منها ما يشبه البرق! ثم ضربها الثانية فكسرها، وأبرقت كمصباح فى بيت مظلم.

وضربها الثالثة، فانهارت وأبرقت، وأضاءت المكان كله.

فلما رأى المسلمون ذلك كبروا. وقال سلمان:

- بأبى أنت وأمى يا رسول الله. ما هذا الذى رأيت، وأنت تضرب بالمعول!؟

قال الرسول ﷺ: «ضربت ضربتى الأولى فأضاءت لى قصور الحيرة، ومدائن كسرى، فأخبرنى جبريل: أن أمتى ظاهرة عليها»!

وضربت ضربتى الثانية، فأضاءت لى قصور الحيرة، ومدائن كسرى، فأخبرنى جبريل: أن أمتى ظاهرة عليها!

وضربت ضربتى الثانية، فأضاءت لى القصور الحُمْر من أرض الروم، فأخبرنى جبريل: أن أمتى ظاهرة عليها!

ثم ضربت ضربتى الثالثة فأضاءت لى قصور صنعاء، فأخبرنى جبريل أن أمتى ظاهرة عليها!

وكانت هذه الحادثة سببا فى تثبيت أيمان المؤمنين، وأنهم سوف يجتازون محنة الحصار، بل أن المستقبل لهم، حين ينتشر نور الإسلام فى كثير من بقاع الدنيا..

بينما قال المنافقون:

عجبا.. نحن نخدق على أنفسنا، وهو يعدنا قصور فارس والروم.. ما وعدنا إلا غرورا.

وهمس بعضهم فى أذن بعض، أن يعودوا إلى ديارهم بحجة أن بيوتهم عورة، غير محصنة، وأنهم يخشون على أهليهم من غارات اليهود.

وأنزل الله سبحانه وتعالى فى شأن هؤلاء المنافقين:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا﴾ [الأحزاب ـ ١٢، ١٣]

* * *

لقد أيقن سلمان أن المستقبل للإسلام ونور الإسلام وشهد كيف بشرهم الرسول بذلك، وكان من عمق الإيمان، أن شهد ببصيرته مستقبل الإسلام والمسلمين، الذين سوف ينتصرون على الفرس والروم كما تنبأ بذلك الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، كما أن لهذا الخندق الذى اقترحه سلمان، وأقامة المسلمون فى ستة أيام، سببا فى عجز مكة على اقتحام المدينة، فرجع أهل الأحزاب إلى بلادهم مخذولين، بعد أن سلط الله عليهم ما يفرق شملهم، بأن بعث عواصف عاتيه أطاحت بخيامهم فتراجعوا وعادوا من حيث أتوا.

وقال الرسول الكريم شاكرا وحامدا ربه:

«لا إله إلا الله وحده، صدق وعده ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا شئ بعده»

* * *

ومرت الأيام

وتحققت انتصارات الإسلام المذهلة، وفتح الرسول مكة، وانتصر فى كل المعارك التى خاضها ضد الشرك وعبّاد الأوثان، وجاءت الوفود من كل بقاع الجزيزة العربية تبايع الرسول عليه الصلاة والسلام على الإسلام.

ويقوم النبى عليه الصلاة والسلام بخطبة الوادع الخالدة الذى أوصى المسلمين بوصاياه الأخيرة، وأوصى بالنساء خيرا، وحذرهم من الفتنة، وقال فى آخر هذه الخطبة:

«فلا ترجعن بعدى كفارا بضرب بعضكم رقاب بعض ، فإنى قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا بعده، كتاب الله وسنه نبيه.

ألا هل بلغت.. اللهم اشهد».

* * *

أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى فضل على أعجمى إلا بالتقوى»

إلى آخر هذه الخطبة الجامعة المانعة والذى نزل فى أثنائها قوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة - ١٢، ١٣].

وبعدها بشهور قليلة، مرض الرسول، ثم انتقل إلى أكرم جوار.

وكان ذلك بعد حجة الوداع بواحد وثمانين يوما. وقد عبر عن هذا الحدث الجليل أنس بن مالك فقال:

«لما كان اليوم الذى دخل فيه النبى ﷺ المدينة أضاء منها كل شئ.. فلما كان اليوم الذى مات فيه أظلم منها كل شئ.. ما نفضنا أيدينا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا».

●●●

(٣)

حزن سلمان الفارسى لفراق أعظم رسل الله.. فكم جاهد معه.

وكم عرف معه فرحة الانتصارات، وفرحه دخول الناس فى دين الله أفواجا.

وكم كان حريصا على معرفة أمور دينه، فقد كانت روحه تتوق إلى ما عند الله، وما غرته الدنيا يوما.

ولو كان من الذين يؤثرون نعيم الدنيا لظل إلى جانب والده الدهقان الذى يملك الثروة ويملك الأرض.

ولو كان يريد أن يكون صاحب نفوذ فى دنيا الناس لعاش بجانب أسرته فى بلاد الفرس، وسوف تؤهله طموحاته للوصول إلى ما يصبو إليه.

ولكن سلمان الفارسى ظل طوال حياته يبحث عن الحقيقة، فلما وجدها استظل بظلها، وأثر أن ينال ثمراتها.. وثمراتها ليست فى منصب يرنو إليه،

ولا وظيفة مرموقة يسعى إليها، وإنما كان منتهى أمله أن يتوق إلى ما عند الله، وما عند الله خير وأبقى.. وما عند الله يأتى بالعبادة وأداء ما فرض الله سبحانه وتعالى، العزوف عن هذه الدنيا التى لا تساوى عند الله جناح بعوضه.

وعاش سلمان فى زمن الصديق والفاروق وعثمان ابن عفان،.. وشاهد انطلاق الإسلام فى كل بقاع الدنيا.. ورأى بعينه ما تنبأ به رسول الله ﷺ، عندما اعترضته صخرة أثناءحفر الخندق حول المدينة، وكيف قال لأصحابه أنهم سيصلون إلى قصور الروم والفرس، يومها استهزأ المنافقون، ولكن سلمان كان واحدا من المؤمنين بأن ما قاله الرسول سوف يتحقق وأن أمة الإسلام سوف تظهر على الفرس والروم، وها هو قد شاهد دولة الفرس وقد انهارت تحت ضربات سنابك فرسان الإسلام، وأن فارس أصبحت ولاية إسلامية، عندما هزمت فى العديد من المواقع..!

وها هو يرى جيوش المسلمين تنزع من الروم الشام ومصر، وتتقدم فى الشمال الأفريقى، وإلى بلاد ما وراء النهر.

فى هذا الجو المفعم بعبق الانتصارات، كان سلمان الفارسى يقول:

«إن استطعت أن تأكل التراب ولا تكوننَّ أميرا على اثنين فافعل.

يالعظمة الشموخ الإنسانى فى شخصيته هذا الصحابى الجليل، أنه ينأى عن دنيا لا يريدها، ويبتعد عن حياة البذخ، ويرفض الجاه والسلطان!

* * *

كان سلمان يفر من الإمارة؛ فالامارة مسئولية.

والأمارة عدل ورحمة وتكافل بين الناس. ودعوة المظلوم ليس بينها بين الله حجاب.. فكيف يحقق العدل، وكيف يساوى بين الناس جميعا، وكيف ينام وهو على ثقة أنه لا أحد من المسئول عنهم قد وقع تحت غبن أو ظلم؟

إنها عملية بالغة الصعوبة فى رأى سلمان.

وقد شعر بثقل هذه المسئولية يوم ولآه الفاروق عمر بن الخطاب ولاية المدائن.. ولم يوافقه عمر عندما طلب منه أن يعفيه من هذا المنصب بل أصر أن يصبح واليا على المدائن.

كيف دخل إلى هذه الولاية؟

هل دخلها كما يدخل الحكام ولاياتهم؟ تسبقهم مظاهر الحكم وأبهة السلطة؟

إنه يذهب إلى الولاية وحيدا فريدا.

ويحدثنا أبو المليح عن هريم عن دخول الوالى الجديد إلى ولايته فقال:

- رأيت سلمان الفارسى على حمار (عرة) وعليه قميص قصير، ضيق.. وكان رجلا طويل الساقين كثير الشعر، وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريبا من ركبته.

قال: رأيت الصبيان يحضرون خلفه.

فقلت: ألا تتنحون عن الأمير؟

فقال: دعهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم.

ورتب عطاء لسلمان خمسة آلاف، ومع ذلك كان يوزعها على الرعية،

ويأكل من جدل الخوص، وكانت إمارته ثلاثون ألفا من الناس، وكانت عليه عباءة يفترش نصفها ليجلس.. فأرادوا أن يقيموا له بيت الإمارة فرفض، ولكن أحد الرجال ممن كان يفهم نفسيته أقنعه بحقيقة البيت الذى يبنى قائلا له:

ـ ألا ابنى لك بيتا تستظل به من الحر، وتسكن فيه من البرد؟

فقال سلمان: نعم

فلما أدبر صاح سلمان به فسأله: كيف تبنيه؟

فقال:

ـ أبنيه إن قمت فيه أصاب رأسك، وإن اضطجعت فيه أصاب رجلك.

فقال سلمان: نعم

* * *

لقد كان سلمان يشترى الخوص، ويعمل منه ما يتقوت منه هو عياله، ويتصدق بدرهم!

* * *

ويروى الرواة عنه، أنه رآه أحد القادمين من الشام ومعه حمل تبن وتمر، وما كاد يشاهد سلمان فى عباءته البالية، حتى ظنه أحد المساكين، فطلب منه أن يساعده فيما يحمل، ووافق سلمان على أن يساعده فى حمل التبن والتمر، وبينما هما يسيران، إذ شاهده الناس فقاموا له وقوفا، عندما

كان يلقى عليهم السلام ويعجب الرجل: لماذا يقومون لهذا الرجل؟ وكيف يقولون له: وعليك السلام أيها الأمير! أى أمير هذا؟

وعندما عرف أن هذا الذى يحمل عنه التبن والتمر هو سلمان الفارسى أمير المدائن، حاول الاعتذار، وأخذ ما يحمله سلمان، ولكن سلمان يأبى إلا أن يذهب معه إلى حيث يريد!

شخصية بالغة الثراء.. إنه لا ينسى أبدا أنه إنسان بسيط، وأن الإمارة لن تضيف إليه شيئا، وقد سيقت إليه رغم أنفه، ولولا ضغوط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ما قبلها، لأن الامارة فى رأى سلمان: عندما سئل عما يبغض الإمارة إلى نفسه بقوله:

حلاوة رضاعها، ومرارة فطامها

إنه هو الإنسان الذى خرج فى صغره بحثا عن الحقيقة، يقود إلى المدائن حاكما عليها، ولكنه لم ينسى قط أنه إنسان بسيط، جاء إلى الدنيا ليتزود منها للآخرة.. إنها مجرد جسر إلى عالم أسمى وأرفع وأخلد.. ومن هنا فقد عاش حياته كلها ليجد الأمر الذى يعيد إلى نفسه الأمن والأمان، ووجد ذلك فى الإسلام ونبى الإسلام.

ففى الفترة التى عاشها بجانب الرسول عرف معنى التواضع، وقيمة العلم، وجمال اليقين، وعرف معنى الزهد فيما لدى الآخرين، بل الزهد فى الدنيا كلها، وتعلم فى مدرسة صاحب الرسالة الخالدة معنى الإيمان.. وحلاوة الإيمان.. الذى يقود إلى العدل والرحمة، كما يقود إلى جنة عرضها عرض السماوات والأرض.

وإذا كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد عيّنه حاكما على المدائن، فقدكان سلمان نفسه شبيها بعمر بن الخطاب نفسه. في زهده وتقشفه وحبه للعدل، والرحمة بين الجميع..

حتى أن عمر العظيم جمع بعض أصحاب الرسول الكريم لاستقبال سلمان عند مشارف المدينة.

ومما يروى عنه أن الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص، زاره أثناء مرضه ليعوده ، فإذا بسليمان يبكي، مما حدا بسعد بن أبي وقاص أن يسأله:

- ما يبكيك يا أبا عبدالله.. لقد توفي رسول الله وهو عنك راض.

فأجابه سلمان: «والله ما أبكي جزعا من الموت، ولا حرصا على الدنيا، ولكن رسول الله ﷺ عهد إلينا عهدا فقال:

«**ليكن حظ أحدكم من الدنيا مثل زاد الراكب، وها أنذا حولي هذه الأساود**» ويقصد بالأساود الأشياء الكثيرة.

قال سعد: فنظرت، فلم أر حوله إلا جفنة ومطهرة.

فقلت له: يا أبا عبدالله اعهد إلينا بعهد تأخذه عنك.

فقال: يا سعد أذكر الله عند همّك إذا هممت. وعند حكمك إذا حكمت وعند يدك إذا قسمت.

* * *

شئ عجيب ذلك الذى تراه من هذا الصحابى الجليل، فهو وقد تهيأ للقاء خالقه، يخشى ألا يكون قد وفى بعهده رسول الله، أن يعيش على الكفاف.. رغم أنه يعيش على الكفاف بالفعل، فهو لا يملك إلا تلك الجفنة التى يأكل فيها، والمطهرة التى يشرب ويتوضأ منها، ويخشى أن يكون فى ذلك ترفا.

وعندما آن لهذا الباحث عن الحقيقة أن يستريح، ويلقى ربه، بعد أن بلغ الكتاب أجله، قال لزوجته: هلمى خبيك الذى استخبأتك؟

قالت: فجئته بصرة مسك.

قال: أئتينى بقدح فيه ماء.

فنثر المسك فيه، ثم أذابه بيده.

ثم قال: انضحيه حولى، فإنه يحضرنى خلق من خلق الله يجدون الريح، ولا يأكلون الطعام، ثم اغلقى على الباب وانزلى.

قالت: ففعلت.

وجلست هنيهه فسمعت هسهسة قالت: ثم صعدت فإذا هو قد مات.

ورحل هذا الصحابى الجليل بعد رحلة أشواق كابدها فى سبيل البحث عن النور، وعندما وجده انغمس فى هذا النور، وشعر بجمال اليقين، وجلال الحقيقة.. ثم صعدت روحه إلى بارئها بعد أن أدى الأمانة، وحقق ما تصبو إليه نفسه عندما يمم وجهه صوب شواطئ الإيمان.. وكانت وفاته فى خلافة عثمان بن عفان، سنه خمس وثلاثين من الهجرة.

بلال بن رباح

« مؤذن الرسول ﷺ »

(١)

كان رباح عبدا حبشيا لخلف بن وهب، يرعى له الأبل ويشرف على باقى عبيدة، وتزوج من جارية حبشية أيضا اسمها حمامة، وأنجبا بلال.. وكان بلال جميل الصوت، طويل القامة، نحيفا، وكان من الطبيعى أن يصبح رقيقا هو الآخر.

وقد مات خلف بن وهب فى ا لجاهلية، كما مات رباح أيضا، وأصبح بلال عبدا لأمية بن خلف. وكان من الطبيعى أن يشعر بلال بهوان الرق، فليس له من الأمر شيئا، إنه مجرد أداة فى يد سيده، وسيده يفعل به ما يشاء.. إنه وضع مهين ألا يكون لك إرادة، ولكن ما الحيلة والحياة فى الجاهلية، وفى كل المجتمعات التى تعيش نظام الرق على نفس الحال.

وذات يوم سمع بلال أن محمدا بن عبدالله يدعو إلى دين جديد وهو الإسلام، وأنه قال:

أيها الناس لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى، الناس لآدم وآدم من تراب.

وكان من الطبيعى أن تستجيب نفسه التواقة إلى الحرية إلى هذا الدين الجديد، فآمن به بعد أن التقى بالرسول وأعلن إسلامه.

وتمضى أيام.. ويعلم سيده القاسى القلب بإسلام بلال، فجن جنونه، إن السادة يحاربون الدين الجديد.. لأنه لا يفرق بين السيد والعبد، وأن أكرم الناس عند الله ليس هو الأغنى أو الأقوى، أو صاحب الحسب والنسب، ولكن التفاضل بالتقوى، والعبد التقى خير عند الله من السيد الذى لم تعرف التقوى إلى قلبه سبيلا.

ولم ينكر بلال إسلامه عندما سأله سيده عن ذلك.

وأخذه سيده إلى هجير الصحراء عاريا، ويضع فوقه الصخرة الكبيرة، ويأمر غلمانه أن يجروه على الرمال المحرقة، حتى يعود إلى عبادة الأصنام، ولكن «أمية» لا يسمع من بلال إلا ترديده أحد.. أحد.

ويقول له: ستظل على هذا العذاب إلى أن تكفر بمحمد وتعود إلى ملتنا.

ولكن بلالا يقول له: أحد.. أحد.. أى أعبد الله الأحد.

ومر به أبو بكر الصديق، وشاهد هذا المشهد الدامى لشاب يقترب من الثلاثين من عمره، يجره الصبيان وعبيد أميه فوق لهيب الصحراء، وهو يردد رغم جراح جسمه: أحد.. أحد.

وعاتب الصديق أميه عما يفعله ببلال، ولكن أميه يقول للصديق: لقد أفسدتموه بدينكم فاستحق هذا العذاب.

وقرر أبو بكر أن يضع حدا لعذاب هذا المعذب بلا جريرة إلا أنه عبد ضعيف، وبلا عصبية تحمية من حمق أميه بن خلف، وعرض عليه أبو

بكر أن يعتقه نظير أن يدفع له سبع أواق من الفضة،.. لقد اشتراه أبو بكر واعتقه.

* * *

وتمضى قافلة الأيام، وتمضى الدعوة الإسلامية تشق طريقها رغم الأشواك والصعوبات التى تقف فى سبيل انتشارها، ويهاجر من المسلمين إلى الحبشة من هاجر، ويظل فى مكة من ظل بها رغم المعاناة والدعوة تشق طريقها ببطئ شديد، إلى أن أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة، بعد أن دخل بعض أهلها فى الإسلام بعد بيعة العقبة الأولى، والثانية، وكان بلال من المهاجرين بالطبع، وقد أخى الرسول عليه الصلاة والسلام بينه وبين أبى عبيدة الجراح.. وهكذا أصبح هذا الشاب الحبشى أخا فى الإسلام مع واحد من أشراف قريش.

ولم ينسي «بلال» قط ما حدث له فى مكة عند إسلامه وتعذيبه وإهانته، وجره على الرمال بعد أن أوثقوه بالحبال..!

* * *

لقد اتخذت الدعوة فى المدينة شكلا أكثر قوة، وانطلقت بشكل أسرع، ودخل عدد كبير من أهل المدينة الإسلام، رغم وجود اليهود والمنافين بها.

وكان لابد أن يكون للدعوة مسجدا، وبنى الرسول مسجده بالمدينة، بعد أن استقر بها، كما بنى مسجد قباء عندما دخل المدينة.

وكانت مساحة المسجد خمسة وثلاثين ذراعا طولا، وثلاثين ذراعا عرضا، يحيط به جدار من اللبن يزيد عن قامة الرجل قليلا، وكان أساس الجدار من الحجر، واتخذوا فى ناحية من المسجد ظلّةً من الجريد تستند

على قوائم من جذوع النخل، كانت تسمى (الصُفه) .. وباقى المسجد بلا سقف.

وقد فرشت أرضيته بالحصى، وهذا المسجد قد وسعه الرسول بعد ذلك عندما زاد عدد المسلمين وعندما حضر المهاجرين من الحبشة، فأصبح خمسين ذراعا لخمسين ذراعا، وفى هذا المسجد كان يرتفع صوت بلال بالأذان.

* * *

وكانوا قبل أن يهتدوا إلى هذا الأذان الذى يجمع الناس إلى الصلاة.. قد فكروا فى طريقة تدل الناس على أن الوقت قد حان لأداء الصلاة، وأن عليهم أن يتوجهوا إلى المسجد، فقال الرسول ﷺ: «لقد هممت أن أبعث رجالا فيقومون على آطام المدينة، فيُؤْذِنُون الناس بالصلاة»

وعندما استشار النبى أصحابه.. اقترح بعضهم أن يستعمل البوق فى استدعاء الناس.

واقترح البعض أن يضرب بالطَّبْل أو ترفع راية ليراها الناس فيقدمون للصلاة.

بينما اقترح البعض الآخر، اشعال نار عند كل صلاة ويكون الدخان داعيا الناس لمعرفة أوقات الصلاة ولكن الرسول أخبرهم أنه لا يريد تقليد وسائل اليهود والنصارى والمجوس.

وأخذ المسلمون يفكرون فى الوسيلة.. إلى أن رأى أحد الصحابة وهو (عبدالله بن زيد بن ثعلبه) رؤيا فى نومه فرح بها

وجاء النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه طاف بى هذه الليلة طائف، إذ مرّ بى رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا فى يده!

فقلت له:

يا عبدالله أتبيع هذا الناقوس؟

قال:

- وما تصنع به؟

قلت:

- ندعو به إلى الصلاة.

قال:

- أفلا أدلك على خير من ذلك؟

قلت:

- وما هو؟

قال: تقول:

الله أكبر. الله أكبر . الله أكبر. الله أكبر.

أشهد أن لا إله إلا الله (مرتين) وأشهد أن محمدا رسول الله (مرتين).

حى على الصلاة.. حى على الصلاة

حى على الفلاح.. حى على الفلاح

الله أكبر الله أكبر.

لا إله إلا الله»

قال رسول الله ﷺ

- إنها لرؤيا حق إن شاء الله.

* * *

وبينما هم يتحدثون عن هذه الرؤيا فى المسجد، إذ أقبل عمر بن الخطاب، فلما سمعها منهم قال:

- يا بنى الله - والذى بعثك بالحق، لقد رأيت مثل هذا.

واستيقن الرسول عن طريق الوحى صحة هذه الرؤيا، وأمر بلال أن يقوم ويؤذن بها بعد أن قام بتحفيظها له.

* * *

وكان المسلمون يتجهون فى قبلتهم إلى بيت المقدس، ولكن بعد ستة عشر شهرا وهم يصلون إلى بيت المقدس، جاء وحى الله بأن يتجه المسلمون فى صلاتهم إلى الكعبة.. لقد تحول الرسول عليه الصلاة والسلام إلى البيت الحرام وهو يصلى بالناس صلاة العصر ثم نزل قوله تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة ١٤٣].

● ● ●

(٢)

عاش المسلمون فى المدينة وكل همهم عبادة الله من صلاة وصيام

وصدقات.. ويقوم منهم بالعمل من يستطيع ، وفى التجارة من يستطيع أيضا، ولأن الحياة كانت صعبة بالنسبة للمهاجرين الذين تركوا أموالهم فى مكة، فقد عاشوا حياة زاهدة، وكان الواحد منهم يكتفى بحبات من الزبيب أو التمر، حتى بعد صيام يوم طويل.

و.. فرض الجهاد على المسلمين يوم نزل قوله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾. [الحج ٣٩]

وقوله تعالى:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة ١٩١].

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة ١٩٣].

وبهذه الآيات شرع فيها الله الجهاد، لم يعد أمام المسلمين إلا الحركة، ونشر دين الله، دون أن يخافوا ظلم أحد، فإن من واجبهم الآن الدفاع عن دينهم وعن أنفسهم.. ومن هنا أمر الرسول الكريم أصحابه بحمل السلاح دفاعا عن دين الله، وكانت أول المعارك بين قوى البشر والضلال متمثله فى كفار مكة، وبين المسلمين هى معركة بدر، وكان شعار هذه المعركة نفس الشعار الذى رفعه بلال بن رباح.. يوم قيدوه بالسلاسل، وألقوا بجسده العارى بطاح مكة، وكن عزاؤه أن يردد:

- أحد.. أحد.

إن (أحد.. أحد) .. هى شعار هذه المعركة الفاصلة بين الحق والباطل.. وبين النور والظلام.. ورغم قلة عدد المسلمين، فقد أحرزوا نصرا حاسما على أعدائهم الذين يفوقونهم فى العدد والعدة والسلاح.

وكانت هذه المعركة فى السابع عشر من رمضان من السنة الثانية للهجرة.

ووقف النبى فى العريش الذى أقيم له، ورفع يده إلى السماء داعيا:

اللهم إنى أنشدك عهدك ووعدك.

اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد.

االلهم نصرك الذى وعدتنى.

اللهم ارعب قلوبهم، وزلزل أقدامهم.

وفى هذه اللحظات نزل الوحى مبشرا بنصر الله.

وأخذ الرسول ينادى المسلمين:

أيها الناس، من قتل رجلا فله سلَبه، ومن أسر أسيرا فله فديته.

وعندما جاءت لحظة اللقاء قال الرسول لأصحابه:

«والذى نفسى محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة».

قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض».

* * *

واحتدم القتال.

وسقط عدو الله أبو جهل فى المعركة وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، مر به عبدالله بن مسعود فعرفه وقال له:

ـ أهذا أنت يا عدوا الله لاتزال فيك بقية من الحياة؟ وداس بقدمه عنقه.

فقال له أبو جهل:

ـ لقد ارتقيت مُرتقى وَعْراً يارُوَيْعىَ الغنم فقال ابن مسعود:

انظر يا عدوا الله ما يصنع بك راعى الغنم وضغط بقدمه على عنقه حتى مات.

* * *

وفى هذه المعركة كان بلال يحارب بجسارة منقطعة النظير، وكان يبدو فى المعركة جسورا فى غاية الجسارة، وكأنه كان يبحث بين الأعداء عن «أمية بن خلف».. هذا الذى كان يعذبه فوق رمال مكة الساخنة.

والعجيب أن أميه هذا عندما نادى المنادى بالخروج من مكة لقتال المسلمين، كان يريد أن يهرب من هذه المواجهة، وأن يظل فى مكة إلا أن صديقه (عقبة بن أبى معيط) ذهب إليه عندما سمع أنه يتثاقل ولا يريد الخروج إلى القتال، ذهب إليه حاملا فى عينيه (جمرة).. القاها على صديقه وهو يقول له:

ـ يا أبا على.. استجمر بهذه فإنما أنت من النساء ورد عليه أميه قائلا:

ـ قبحك الله، وقبح ما جئت به.

وخوفا من العار ذهب مع الذاهبين لقتال رسول الله، ولكنه وجد بعد احتدام القتال أن النتيجة لن تكون فى صالح مكة، ولكنها فى صالح المسلمين، فهم يقاتلون بضراوة شديدة.

ووسط هذه المعركة حاول أن ينجو بنفسه هو ابنه على، بأن يسلما أنفسهما كأسيرين لعبد الرحمن بن عوف.

ولمحة وسط المعركة بلال بن رباح.. وتذكر مالاقى على يديه من هوان، فانطلق نحوه كالسيف صائحا:

ـ رأس الكفر أميه بن خلف.. لا نجوت إن نجا» ولكن عبدالرحمن بن عوف قال له:

ـ أى بلال.. إنه أسيرى!

فصاح بلال بصوته المعروف، والتف حوله المؤمنون يسألونه عن سبب صباحه، فأشار إليهم أن يساعدوه فى قتل عدو الله أميه بن خلف، فهوت السيوف على أمية وابنه، وهوى تحت الأقدام، وبلال يقول كلمته الخالدة وهو يتأمل جثمان أمية الذى طالما أذاقه كئوس الهوان:

ـ أحدُ.. أحدُ

* * *

ويصف هذا المشهد الصحابى الجليل عبدالرحمن بن عوف فيقول: كان أمية بن خلف صديقا لى بمكة، وكان اسمى عبد عمرو، فتسميت حين أسلمت عبدالرحمن، فكان يلقانى ونحن بمكة فيقول:

يا عبد عمرو أرغبت عن اسم سماكه أبوك؟

فأقول: نعم

قال:

فإنى لا أعرف الرحمن، فاجعل بينى وبينك شيئا أدعوك به، أما أنت فلا تجيبنى باسمك الأول، وأما أنا فلا أدعوك بمالا أعرف، وكان إذا دعانى يا عبد عمرو لم أجبه

فقلت له: يا أبا على اجعل ما شئت

قال: فأنت عبدالله.

قلت: نعم

فكنت: إذا مررت به قال:

ـ يا عبدالله فأجيبه فأتحدث معه حتى إذا كان يوم بدر مررت به وهو واقف مع ابنه على وهو آخذ بيده ومعى أدراع قد استلبتها فأنا أحملها.

فلما رآنى قال:

ـ ياعبد عمرو.. فلم أجبه

فقال: يا عبدالله.

قلت: نعم

قال: هل لك فىَّ فأنا خير لك من هذه الأدرع التى معك.

قلت: نعم.. هاالله.

فطرحت الأدرع من يدى، وأخذت بيده وبيد أبنه وهو يقول:

- ما رأيت كاليوم قط، ثم خرجت أمشى، بهما فقال لى وأنا بينه وبين أبنه أخذ بأيديهما:

- يا عبدالله من الرجل منكم المعلم بريشة نعامة فى صدرة؟

قلت: حمزة.

قال: ذلك الرجل فعل بنا الأفاعيل؟

وما كاد ينتهى من كلامه إذ رآه بلال معى. رآه بلال فعاد بذاكرته إلى مكة أيام كان يلقى به في الرمضاء ويسلط عليه صبيانها ويصب عليه العذاب صبا.

فقال على الفور:

- رأس الكفر أميه بن خلف لا نجوت إن نجا.

قلت:

- أى بلال.. إنه أسيرى؟

قال:

- لا نجوت إن نجا.

ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا.

قال عبدالرحمن بن عوف:

فأحاطوا بنا حتى جعلونا فى حلقة كالسوار.

وأحدقوا بنا، فأنا أذبُّ عنه إذ دخل علينا رجل بالسيف فضرب رجل أبنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعت بمثلها قط:

قلت: أنج بنفسك ولا نجاء، فوالله ما أغنى عنك شيئا.

فبهرو هما بأسيافهم حتى فرغوا منهما؟،

* * *

أما صديقه (عقبة بن أبى مُعَيْط) فقد أمر الرسول بقتله، ولكنه استغاث بالنبى قائلا:

- أتقتلنى يا محمد من بين قريش، وقد كنت جارا لك؟

قال له النبى عليه الصلاة والسلام:

- لقد كنت بئس الجار

وقال النبى لأصحابه:

- أتدرون ما صنع هذا بى؟

لقد جاءنى وأنا ساجد خلف المقام، فوضع رجله على عنقى، وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عينيٍّ ستَنْدران (تخرجان من موضعهما) وجاء مرة أخرى بسلاَ شاةِ فألقاه على رأسي وأنا ساجد فجاءت فاطمة فنحّته عن رأسى ثم أمر بقتله.

* * *

وتمضى الأيام..

ويفتح الرسول الكريم مكة، ومعه عشرة آلاف مقاتل.. تلك البلدة التى أخرجته منها، بعد أن عذبته هو وأصحابه.. ويحطم الأصنام.

وعند دخوله رأى تمثالا يمثل إبراهيم الخليل عليه السلام يستقسم بالأزلام، فيظهر الغضب على وجهه عليه الصلاة والسلام ويقول:

- ما كان شيخنا يستقسم بالأزلام.. ما كان إبراهيم يهوديا، ولا نصرانيا، ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين».

ويأمر بلالا أن يؤذن للصلاة.

ويرتفع صوت «بلال».. وتتناقل أصداؤه الأرجاء.. ويعلم أهل مكة جميعا.. سواء من خرجوا من منازلهم بعد أن عفا عنهم الرسول عليه الصلاة والسلام، أو هؤلاء الخائفين فى منازلهم.. سمعوا صوت بلال وهو يؤذن من فوق ظهر المسجد.. بصوته الجليل.. فيعرف الجميع أن عصرا جديدا بطل على الوجود، وأنه قد أنتهى تماما عبادة الأصنام، وأصبحت العبادة لله الواحد الأحد.. الفرد الصمد.. خالق الوجود كله.. وأنه لا يشاركه فى وحدانيته أحد.. وقد آن للجميع؛ أن يؤمنوا بالرسالة الخالدة التى جاء بها محمد بن عبدالله عليه الصلاة والسلام، ولا محل للشرك بالله.. فلن يعبد صنم بعد اليوم، وأن هذا الدين بحضارته وعقائده وشريعته سوف يغزو القلوب والعقول، ويمد أضواء الإسلام فى كل مكان.

* * *

ويشترك بلال مع الرسول فى كل المعارك التى خاضها، ويكون قريبا من قلب رسول الله، حتى أنه عليه الصلاة والسلام قال عنه.

«رجل من أهل الجنة».

وتمضى الأيام، ويتوجه رسول الله ﷺ للحج، يعلم الناس مناسك الحج، وهناك فى عرفات يخطب خطبة الوداع الخالدة، وتنزل أثناء هذه الخطبة آخر أيات الذكر الحكيم:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾

ويوقن بلال أن الرسول يودع الناس، ومادام الدين قد كمل، والنعمة قد أتمت، ورضى الله لنا الإسلام دينا، فلن يبقى إلا أن يودع أعظم رسل الله الدنيا.. وبعد ٨٣ يوما من هذه الحجة مرض الرسول عليه الصلاة والسلام مرض الموت، وكان بلال شديد الحزن، فلم يتعود الحياة إلا فى ظلال الرسول، وكانت أجمل لحظات عمره، عندما يعتلى المسجد، للأذان.. وها هو رسول الله ﷺ على وشك الرحيل.. وعندما رحل الرسول إلى الملأ الأعلى بكى بلال بكاءا حارا.. بكى رسوله ونبيه الذى هداه وهدى البشرية كلها إلى نور اليقين.. وحوله من عبد حبشى، يرعى أغنام سيده وإبله وهو مقيد بقيود الرق، إلى إنسان حر.. يؤمن بالله ورسله وملائكته واليوم الآخر.. ويتحول إلى إنسان آخر.. فى مجتمع جديد.. يتساوى فيه الجميع.. ولا يصبح لإنسان فضل على آخر بغناه أو جنسه، بل يفضل الإنسان الآخر بالتقوى والصلاح والعمل بما جاء بكتاب الله وسنه نبيه الكريم.

● ● ●

(٣)

شعر بلال بعد رحيل رسول الله إلى الملأ الأعلى، أن الحياة صعبة بدون رسول الله.. فما أكثر ما عرف معنى لحياته بالقرب من الرسول.. وما أكثر ما سمع كلمات الحنو من أكرم رسل الله.. وكان صوته يصدح بالأذان، ويعرف الناس صوته فيتجهون إلى مسجد رسول الله لأداء الصلاة.. وها هى المدينة بعد رسول الله لم يعد لها المذاق التى كانت فى أيامه.. لقد تولى الخلافة أبو بكر الصديق، وكان أول خليفة لرسول الله.

وأبو بكر هو الذى أشتراه بحر بماله ثم اعتقه، وكان الصديق من أقرب الناس إلى قلب رسول الله.. وقد رأى بلال أن الأمور بدأت صعبة فى أول حكم أبى بكر.

فهناك من ارتد عن الإسلام..!

وهناك من منع الزكاة وبذلك عطَّل فرضا من فروض الإسلام.

وهناك من أدعى النبوة.

وبجسارة منطقة النظير تصدى أبو بكر لكل هذه الجبهات، وانتصر فيها، ووحد شبه الجزيرة العربية كلها من جديد تحت راية الإسلام.

وتبلغ عظمة أبى بكر الصديق أعظم مداها يوم قرر أن يرسل السرية التى كان الرسول قد أعدها بقيادة أسامة بن زيد لمجابهة الروم، ثم يوجه همه للفتوحات الإسلامية، ويجابهة أقوى القوى فى هذا العصر متمثلا فى الإمبراطورية الفارسية، والامبراطورية الرومانية.. وتدق طبول الحرب

والجهاد.. وجيوش المسلمين تشق طريقها محققه انتصارات هائلة فى كل الجبهات.

ومن هنا آثر بلال أن يكون واحدا من الكتائب المجاهدة، ويطلب من أبى بكر أن يسمح له بالخروج إلى الشام.. وحاول أبو بكر أن يثنيه عن عزمه ليظل بجواره، كما كان بجوار رسول الله ولكنه قال له:

إن كنت اعتقتنى لنفسك فاحبسنى، وإن كنت اعتقتنى لله عز وجل فزرنى أذهب إلى الله عز وجل. وأمام إصرارة قال له الخليفة:

- أذهب

وخرج الرجل الطويل القامة، الأسود البشرة، النحيف البدن إلى الشام.

وهنا نقف وقفه أمام مشهد من أهم مشاهد التاريخ، لنرى كيف غير الإسلام الشخصية المسلمة تغييرا شاملا.. فأصبحت هذه الشخصية لها تفردها، ولها أعتقادها الذى لا يزلزله الجبال.

تحدث حادثة تاريخية مشهورة.

فقد انتصر المسلمون انتصارا حاسما على الروم فى معركة اليرموك.. تلك المعركة الفاصلة فى تاريخ الإسلام، وكان يقود الجيش الإسلامى القائد الشهير خالد بن الوليد.. والذى ترك له القيادة عن طيب خاطر- أبو عبيدة الجراح- بعد أن توفى الصديق، وتولى الخلافة عمر بن الخطاب، الذى أمر بعزل خالد، وتوليه أبى عبيدة.

ولكن أبا عبيدة كان يعرف مواهب خالد بن الوليد القيادية، ويعرف تماما أنه هو الأقدر على قيادة الجيوش الإسلامية فى هذه المعركة الحاسمة،

فأخفى أمر عمر بن الخطاب، حتى انتهت المعركة بالنصر الحاسم للمسلمين.

انتصر المسلمون رغم أن عدد قوات العدد كان يربو عن ٢٥٠ ألف جندى، بجانب أعوانهم من العرب بقيادة (جبلة بن الأيهم الغسانى). وقد قتل من حيش الروم كما يقول الرواة نحو مائة وعشرين ألفا.

وقد أدرك «هرقل» أمبراطور الروم مدى المأساة التى حاقت بجيشه، فرحل عن الشام بعد أن قال كلماته الشهيرة:

«السلام عليك يا سوريا، سلاما لالقاء بعده، ونعم البلد أنت للعدو وليس للصديق، ولا يدخلك رومى بعد الآن إلا خائفا».

ولم يتجاوز عدد شهداء المسلمين سواء ثلاثة ألاف شهيد، وقد مهد هذا الانتصار، إلى انتصارات كثيرة مذهلة فى عهد الفاروق عمر بن الخطاب.

وما كان لمثل هذا الانتصار التاريخى إلا أن يدعو إلى الزهو، ولكن خالدا العظيم.. الذى سماه رسول الله «خالد سيف من سيوف الله».

لم يكن خالد يرى إلا أنه كان وسيلة للانتصار ولكن الانتصار من عند الله.

وحدث بعد هذه المعركة الفاصلة الذى غنم فيها المسلمون غنائم كثيرة، أن ذهب بعض الناس إلى خالد بن الوليد طمعا فى العطايا، فأعطى خالد أحدهم (الأشعث بن قيس) عشرة آلاف.

وعلم عمر بن الخطاب بذلك، وأراد أن يعرف هل أعطى خالد هذا للأشعث بن قيس من ماله الخاص أم من أموال المسلمين؟!

فإن كان هذا المال من أمواله الخاصة فهذا إسراف، وإن كان من أموال المسلمين فهو إقرار منه بالخيانة وعزله!

وطلب من أبى عبيدة أن يعقل خالدا بعمامته!! وكتب أبو عبيده لخالد أن يأتى، وقام صاحب البريد يطلب من خالد من أين أجاز الأشعث؟ ولم يجبه خالد.

وأبو عبيده ران عليه الصمت فلا يقول شيئا وقام بلال بن رباح فعقل خالد بن الوليد بعمامته وهو يقول لخالد بن الوليد.

ـ إن أمير المؤمنين أمر فيك بكذا وكذا، ونزع عمامته، فلم يمنعه خالد سمعا وطاعة!!

* * *

من يتصور هذا المشهد.

بلال.. العبد.. أو الذى كان عبدا حبشيا فحرره الإسلام من الرق، وحوّله إلى إنسان آخر يؤمن بمبادئ الإسلام وقيمه وفضائله، ويؤمن فى أعماق نفسه بأنه، كما قال أعظم رسل السماء: ليس لعربى فضل على عجمى، ولا لعجمى فضل على عربى إلا بالتقوى.! هذا الرجل الذى كان يجرونه فى صحراء مكة يوم أعلن إسلامه، ولم يعد يملك سوى إيمانه وأن يقول للملأ:

ـ أحد أحد.. أحد أحد.

هذا الرجل يأتى عليه اليوم لينزع عمامة سيف الله خالد ابن الوليد، الذى كانت تهتز له الدنيا، والذى حطم الأمبراطورية الفارسية والرومانية، يأتى

إليه فى أوج انتصاراته هذا الحبشى الضعيف ليخلع عمامته حتى يمتثل لأوامر أبر المؤمنين الفاروق عمر بن الخاطب!

وسأل خالدا:

- من أين أجزت الأشعث من مالك أجزت؟

أم من إصابة أصبتها؟!

فقال خالد:

- بل من مالى.

فأطلقه بلال وأعاد له قلنسوته، ثم عممة بيده ثم قال:

نسمع ونطيع لولاتنا، ونفخم ونخدم موالينا،

* * *

يقول بلال رضى الله عنه:

والتف حول خالد مجموعة من أبناء بنى أمية الذين غضبوا لعزل خالد، و تقدم أحدهم من القائد المعزول قائلا له:

- إنها الفتنة يا خالد.. ستملأها خيلا ورجلا على ابن الخطاب فى المدينة!

ويرد القائد المنتصر المعزول متسائلا:

- هل تم تحطيم الحصون على أرض فارس،؟

قالوا:

- نعم

- هل تمت إزالة القلاع علي أرض الروم.

قالوا:

- نعم

قال: هل توجد قوة ضاربة كافرة تقف فى وجه المسلمين وتحتاج هذه القوة لسيف خالد؟

قالوا:

- على حد علمنا اللهم لا.

قال خالد العظيم:

- الأمة الإسلامية فى حاجة إلى عقل عمر أكثر من حاجتها إلى سيف خالد.

ثم قال:

- لن تكون فتنة وأين الخطاب موجود.

ويقوم (بلال بن رباح) منبهرا بشخصية خالد الذى انتصر على نفسه ليعانقه!

ولم يمكن عمر بن الخطاب يجهل قدر خالد بن الوليد، ولا كان يرغب فى إذلاله، ولكنه كان يريد أن يعرف المسلمون وهم يرون الجيوش الإسلامية تحت قيادة فى خالد بن الوليد تقهر الأعداء، وترفع راية

الإسلام، أن النصر من عند الله لا بسبب خالد بن الوليد ولا سيفه، ومن هنا فقد قال عندما سمع النساء يبكين على خالد بعد وفاته.. قال عمر بن الخطاب عنه وهو يبكي:

عجزت النساء أن يلدن مثل خالد.

ورثاه قائلا:

رحم الله أبا سليمان.. ما عند الله خير مما كان فيه.. ولقد عاش حميدا، ومات سعيدا.

* * *

وصورة بلال وموفقة مع خالد.. تعطى للمسلمين عبر كل أجيال التاريخ، كيف صنع الإسلام الرجال.

● ● ●

أصحمة.. نجاشي الحبشة

عندمـا اشتد ايذاء المشركين للرسول وأصحابه، وحينما فرض الحصار الظالم على النبى وأصحابه فى شعب أبى طالب، أمر النبى أصحابه الذين يريدون الهجرة إلى الحبشة أن يهاجروا إليها، ويلحقوا بالذين سبق لهم الهجرة اليها بعد اشتداد بطش مكة عليهم، فهاجر إلى الحبشة نحو ثلاثة وثمانين رجلا، وثمانى عشرة امرأة وكان فيهم جعفر بن أبى طالب وزوجته أسماء بن عميس والمقداد بن عمرو، وعبد الله بن أبى طالب، وعبدالله بن مسعود، وعبيد الله بن جحش وزوحته أم حبيبة.

كان يحكم الحبشة ملك عادل اسمه (أصخمة)، وأصخمة تعنى بالعربية عطية. وفى ظل نجاشى الحبشة هذا أخذ المسلمون يعبدون الله بحريه تامة دون أن يتعرض لهم أحد بسوء وقد كان النجاشى يدين بالنصرانية، وتورد الكثير من المراجع التاريخية أنه كان قد نفى عن بلاده، وعاش فى بلاد العرب فترة من الزمن أيام شابه، مما جعله يتقن العربية، ويجيد لسان العرب، ويعرف عاداتهم وتقاليدهم. ولانه عرف الظلم فقد آثر أن يحكم بالعدل، مع الذين عاش بينهم زمنا، ومن هنا فقد وسع صدره لهولاء المهاجرين، وتركهم يعبدون الله دون أن يكوههم أحد عل ترك دينهم.

وقد قال الرسول ﷺ لهولاء الذين هاجروا إلى الحبشة عندما عزموا على الهجرة:

لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم مخرجا مما أنتم فيه» .

تقول السيدة عائشة أم المؤمنين عنه:

أن أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد إلا النجاشى، وكان للنجاشى عم، له من صلبه إثنا عشر رجلا فقالت الحبشة بينها لو أنا قتلنا أبا النجاشى وملكنا أخاه، فأنه لا ولد له غيرهذا الغلام، وأن لأخيه من صلبه إثنا عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده، بقيت الحبشة بعده وهذا، فغدوا على أبى النجاشى فقتلوه وملكوا أخاه، فمكثوا على ذلك حينا ونشأ النجاشى مع عمه، وكان لبيبا حازما من الرجال، فقلب على أمر عمه، ونزل منه بكل منزلة، فلما رأيت الحبشة مكانه منه، قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه، وإنا لنتخوف أن يملكه علينا، وإن ملكه علينا ليقتلنا أجمعين، لقد عرف أنا نحن قتلنا أباه فمشوا إلى عمه فقالوا:

إما أن نقتل هذا الفتى، وإما أن تخرجه من بين أظهرنا فإنا قد خفنا على أنفسنا قال:

- ويلكم قتلت أباه بالأمس وأقتله اليوم؟ بل أخرجه من بلادكم.

قالت: فخرجوا به إلى السوق فباعوه لرجل من التجار بستمائه درهم، فقذفه فى سفينة فانطلق به، وكان الذى اشتراه من العرب من بنى ضميرة» .

ويحكى النجاشى عن نفسه:

أنه كان يرعى الغنم لسيدة بواد يقال له بدر كثير الأراك.

وتقول بعش الروايات التاريخية أن عمه قتل عندما أصابته صاعقة، وأن الأحباش لم تجد فى ولده من يصلح للحكم وقرروا البحث عن أصخمة بن أبجر حتى عثروا عليه، وتولى أمرهم بعد أن اعتذروا له.

وكانت حفاوة النجاشى بالمسلمين الذين هاجروا إلى بلاده مدعاة لحقد أهل مكة، حتى أنهم بعثوا عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص لإيغال صدر النجاشى على المسلمين، وأرسلوا العديد من الهدايا للنجاشى وبطارقته، حتى يضيقوا الخناق على المسلمين، ولكن محاولتهما ذهبت أدراج الرياح.

تقوم أم سلمة زوجة الرسول وكانت من المهاجرات إلى الحبشة تصور هذه الحادث..:

«خرجا حتى قدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار عند خير جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديته قبل أن يكلما النجاشى، وقالا لكل بطريق منهم: إنه قد ضوى إلى بلد الملك مناغلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينكم، وجاءوا يدين مبتدع لا نعرفه نحن وولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم إليهم، فاذا كلمنا الملك فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فإن قومهم أعلى بهم علينا (أدرى بهم) وأعلم بمن عابوا عليهم فقالوا لهما:

نعم ثم أنهما قدموا هدايا هما إلى النجاشى فقبلها منهما، ثم كلماه فقالا له:

«أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك غلمان منا سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينك، وجاء يدين ابتدعوه لا تعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك منهم أشراف قومهم من أبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردهم فهم أعلى بهم عينا، وأعلم بما عابوا عليهم وعائبوهم فيه»

قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع كلامهم النجاشى.

قالت: فقالت بطارقته حوله صدقا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينا، وإعلن بما عايوا عليهم فاسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

قالت: فغضب النجاشى، ثم قال:

لا والله إذن لا اسلمـــهم، ولا يكاد قـــوم جـــاورونى، ونزلوا بلادى، واختارونى على من سواى، حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم، فإن كانوا كما يقولان اسلمتهم إليهما، ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتهم فيهما، وأحسنت جوارهم ما جاورونى».

أرسل النجاشى إلى المسلمين ليسألهم فى أمر هذا الدين الذى آمنوا به، والذى من أجله هاجروا تاركين أهلهم وديارهم.

قال جعفر بن أبى طالب:

أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويظلم القوى منا الضعيف فكنا

على ذكل حتى بعث الله رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفته، قد عانا إلى عبادة إله واحد، وأن نخلع ما كنا نعبد نحن وأباؤنا من أحجار وأصنام، وأمرنا يصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم. وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فأمنا به واتبعناه فيما جاء به، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وظلمونا، وضيقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألان نظلم عندك.

* * *

وعندما طلب منهم النجاشي أن يقولوا له شيئا من القرآن الكريم الذي نزل على الرسول ﷺ قرأ جعفر قوله تعالى﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١] سمع النجاشي ذلك، فقال لمن حوله: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة.

والتفت إلى عمرو بن العاص وصاحبه وقال:

انطلقا إلى قومكما، فوالله لا اسلمهم لكما أبدا

* * *

ولكن عمر بن العاص الذى اشتهر بالدهاء، ما كان يرضى أن يعود إلى مكة وقد خاب مسعاه، فقرر أن يوغر قلب النجاشى على المسلمين، وبأنهم لا يؤمنون كما يؤمن بأن عيسى ابن لله، بل أنه عبده ورسوله، وظن عمرو أنه بهذه الحيلة سيجعل النجاشى يغضب على المسلمين، ويأمر بطردهم من بلاده، فليس من المعقول أن يستوعب النجاشى وهو المسيحى، أن عيسى مجرد بشر وشأن كل البشر، غير أنه نبى مرسل.

تعبر عن هذا الموقف أم سلمة بقولها:

فأرسل إليهم أى النجاشى ليسألهم عنه، وسمع المسلمون بذلك، فكان ذلك أشد ما وامتحنوا به، فتشاوروا ماذا يقولون للنجاشى! ثم استقر رأيهم على أن يصدقوا الله فيه، ويقرءوا عليه ما جاء فى القرآن الكريم بشأن عيسى وأمه.

فلما جاء جعفر، وسأله النجاشى عن عيسى، قال له: نقول فيه أيها الملك ما قال الله بشأنه، وما جاء به نبينا.

عبده الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء، البتول، خلقه بكلمة (كن) .. فكان من غير أب، ليكون أية للناس.

ثم قرأ من سورة مريم: قال تعالى﴿واذْكُرْ في الْكتاب مرْيم إذ انتبذتْ منْ

أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾[مريم: ١٦-٢٣]

فانما سمع النجاشى بذلك ضرب الأرض بيده، فأخذ منها عودا ثم قال:

«والله ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود، أى ما قلته عن عيسى بن مريم صادق، مطابق للحقيقة.

وعندما حاول بطارقته أن يعترضوا نهرهم النجاشى وقال للمسلمين: انطلقوا اعبدوا الله كما تشاءون، فأنتم فى جوارى آمنون».

* * *

وعاد عمرو وصاحبه يجران أذيال الخيبة.. عادا إلى مكة، بينما كان النبى وقومه فى شعب أبى طالب يعانون مرارة جحود مكة ونكرانها، وحصارهم، بلا رحمة، ودون مراعاة لصلة الأرحام، إلى أن أذن الله لهذه الصحيفة الظالمة التى كتبتها قريش أن تنقض، وتأكلها (الأرضه) ما عدا

باسم الله، وكـان ذلك إيذانا أن يخـرج المحـاصـرون فى شـعب أبى طـالب ليعيشوا حياتهم العادية، بعد أن زال عنهم هذا الجور والظلم، وكان ذلك قبل الهجره.. هجرة الرسول الأعظم إلى يثرب بثلاث سنوات.

* * *

هذه هى قصة أصحمة نجاشى الحبشة وقصته مع المسلمين.

ولكن ما الذى جعلنا نؤمن بأنه أسلم؟ الكثير من المراجع تدل على ذلك، ومن هذا مـا أورده ابن حـجـر العسـقـلانى فى كـتـابه الإصـابـة فى تمييـز الصـحـابـة، وله مبـرراته فـيمـا وصل إليـه فـهو يقـول: أصـخبـة» بن أبجـر النجاشى ملك الحبشة، واسمه بالعربية عطيه، والنجاشى لقب له وأسلم على عهد النبى ﷺ ، ولم يهاجر إليه وكان ردءا للمسلمين نافعا، وقصته مشهورة فى المغازى فى إحسانه للمسلمين الذين هاجروا إليه فى صدر الاسلام.

وأخرج أصحـاب الصـحيح قصتـه صلاته ﷺ عليه صلاة الغائب من طرق.. منها رواية سعيد بن ميناء عن جابر.

ومنها رواية عطاء عن جابر.

لما مات النجاشى قال النبى ﷺ: **قدمات اليوم عبد صالح يقال له أصخمة فقوموا فصلوا على أصخمة فصففنا خلفه» هذا لفظ القطان عن ابن جريح عنه ﷺ وعلى آلة وسلم.**

وفى رواية أبن عيينة عن أبى جريح: قدمات اليوم عبد صالح فصلوا على أصخمة» قال الطبرى وجماعة، كان ذلك فى رجب سنة تسع.

وقال غيره كان قبل الفتح.

قال ابن اسحاق: عن يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة:

«لمامات النجاشى كنا نتحدث أنه لايزال يرى على قيرة نور.

وعن أبن شاهين والدارقطنى فى الافراد من طريق معتمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ : **قوموا فصلوا على أخيكم النجاشى»**

فقال بعضهم:

تأمرنا أن نصلى على علج من الحبشة؟

فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

قال الدارقطنى: لا نعام رواة غير أبى هانى أحمد بن بكار عن معتمر، وجاء من طريق زمعة بن صالح الزهرى، ويحى بن سعيد عن سعيد بن سعيدين المسيب عن أبى هريرة قال:

«أصبحنا ذات يوم عند الرسول ﷺ، ووثبنا معه حتى جاء المصلى فقام فصففنا وراءه فكبر أربع تكبيرات..

والنجاشى - بفتح النون - على المشهور، وقيل تكسر عن ثعلب وتخفيف الجيم - وأخطأ من شددها عن المطرزى ويشديد أخره، حكى المطرزى التحفيف ورجحه الصنعانى.

وأصخمة بوزن أربعة، وجاؤه مهلة وقيل معجمه، وقيل أنه بموحده بدل

الميم، وقيل صحمه بغير ألف، وقيل كذلك بتقديم الميم عن الصاد، وقيل بزيادة ميم فى أوله بدل الألف عن ابن اسحاق فى المستدرك للحاكم.

والمعروف عن ابن اسحاق الأول، ويتحصل عن هذا الخلاف فى اسمه ستة ألفاظ لم أرها مجموعة».

* * *

وتقرأ للشيخ أحمد حسن الباقورى فى كتابه (قطوف من أدب النبوة) إن وقعة بدر حين انتهى خبرها إلى النجاشى، علم بها قبل أن يعلم من عنده من المسلمين، فأرسل إليهم، فلما دخلوا عليه، إذ هو قد ليس المسوح وقعد على التراب، فقال له القوم:

ما هذا أيها الملك؟

فقال الرجل - رحمه الله:

إنا نجد فى الإنجيل أن الله سبحانه وتعالى إذا أحدث لعبده نعمة وجب عليه أن يحدث لربه تواضعا وأن الله تعالى قد أحدث إلينا وإليكم نعمة عظيمة.

فقد بلغنى أن النبى محمدا التقى هو أعداؤه بوادى بدر - وهو واد كثير الأراك كنت أرعى فيه الغنم على سيدى من بنى ضمره.

وأن الله تعالى قد هزم أعداءه فى هذا الوادى ونصردينه. فيدل هذا الخبر على طول مكث هذا النجاشى فى بلاد العرب فمن هنا - والله أعلم - تعلم الرجل من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تليت عليه حتى بكى واستبكى.

وقد كان ابن اسحاق يحدث عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها كانت تقول:

«لما مات النجاشى كانوا يتحدثون أنه لا يزال على قبره نور» .

وكان يحدث جعفر بن محمد عن أبيه أن الحبشة اجتمعت فقالوا للنجاشى، ترى أنك قد فارقت دينك، وخروجوا عليه، فأرسل النجاشى إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا واركبهم فيها ثم قال لهم:كونوا كما أنتم فإذا هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب فكتب فيه أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد عبده ورسوله، وأن عيسى بن مريم عبد الله ورسوله وكلمه ألقاها إلى مريم وروح منه.

ثم جعل الكتاب داخل ثيابه فى الجانب الأيمن من صدره .

وخرج إلى الحبشان وقد صفوا له فقال: يا معشر الحبشة: ألست أحق الناس بكم؟

قالوا: بلى

قال: فكيف رأيتم سيرتى فيكم؟

قالوا: خير سيرة

قال: فما لكم إذن تتجهمون لىّ وتخرجون علىّ؟

قالوا: لأنك فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد.

قال: فما تقولون أنتم فى عيسى؟

قالوا: هو ابن الله.

فقال النجاشى ..وقد وضع يده على صدره حيث أخفى الكتاب الذى كتبه من قبل: وأنا أشهد أن عيسى بن مريم لم يزد عن هذا شبها.

وهو إنما يعنى باشارته هذه ما كتب وليس ما قالوا - فرضوا وانصرفوا - وفاز الرجل بفضيلة أنه لم يكذب، وأن فى المعاريض ندحه عن الكذب.

وفى تصرف النجاشى هذا من الفقة، أنه لا ينبغى للمؤمن أن يكذب كذبا صراحا، ولا أن يعطى بلسانه الكفر ما أمكنته الحيلة، وفى المعاريض متدوحه من الكذب. وهو يوضع يده على مكان الكتاب من صدره يشهد أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.. ففى صنيعه هذا أمام الذين طلبوا إليه الاعتراف بأن عيسى ابن الله تأدب بأدب رسول الله فى أنه لم يكذب، ولم يعرض نفسه وقومه للفتنة، فلجأ إلى التعريض الذى أباحه رسول الله.

ويقول الشيخ أحمد حسن الباقورى:

ومعروف عند الثقات من أهل العلم بأن ﷺ صلى على النجاشى واستغفر له، وأن موته كان فى رجب من سنه تسع، وأن النبى نعاه إلى الناس فى اليوم الذى مات فيه، ثم ﷺ صلى عليه فى البقيع وأن المنافقين تكلموا فى هذا استجابه للنعرة العربية الجاهلية فقالوا:

إن محمدا يصلى على هذا العلج من أعلاج العجم.

فأنزل الله تعالى فى ذلك: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

ويذكر السهيلى حول النجاشى هذا: أنه كان لأمير المؤمنين على مولى يدعى (أبا ينذر) وأن هذا المولى كان إبنا للنجاشى الذى أسلم وصلى عليه

الرسول بالبقيع بالبقيع وأن عليا رضى الله عنه كان قد وجد (أبا ينذر) هذا عند تاجر رقيق بمكة، فاشتراه منه واعتقه مكافآة لما صنع أبوه مع المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة.

ويقول الشيخ الباقورى أيضا:

وقد ذكر أين اسحاق فيما روى يونس: أن الحبشة كان قد برح عليها أمرها بعد هذا النجاشى الذى اعتنق الاسلام، وأن أهل الرأى والغيرة من الحبشان أرسلوا وفدا منهم إلى (أبى ينذر) وهو مع أمير المؤمنين على بن أبى طالب - يملكونه ويتوجونه، ولم يختلفوا عليه، لكن (أبا ينذر) أبى الملك قائلا:

ما كنت لأطلب الملك بعد أن مَنَّ الله علىّ بالاسلام.

فكان (أبو ينذر) من أطول الناس قامة، وأحسنهم وجها، ولم يكن لونه كألوان الحبشة ولكن إذا رأيته قلت: هذا رجل من العرب.

* * *

ونقرأ فى صفوة التفاسير تفسيرا للأية الكريمة ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ .[آل عمران ١٩٩]

يقول صاحب التفسير:

ثم أخبر تعالى عن إيمان بعض أهل الكتاب تعال: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران ١٩٩]

أى من اليهود والنصارى.. فريق يؤمنون بالله حق الإيمان، ويؤمنون بماأنزل إليكم وهو القرآن، وما أنزل إليهم وهو التوراة والإنجيل كعبد الله بن سلام وأصحابه، والنجاشى وأتباعه.

﴿خاشعينَ للَّه﴾ أى خاصفين متذللين لله، ﴿لا يشْترُون بآيات اللَّه ثمَنًا قليلاً﴾ أى لا يحرفون نعت محمد ولا أحكام الشريعة الموجودة فى كتبهم لعرض ن أعراض الدنيا خسيس كما يفعل الأحبار والرهبان ﴿أُولَئكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عندَ رَبّهمْ﴾ أى ثواب إيمانهم يعطونه مضاعفا كما قال ﴿ أُولَئكَ يأتُونْ أَجْرُهُمْ مرتّين﴾ ﴿إنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحسَابِ﴾..أى سريع حسابه لنفوذ علمه بجميع المعلومات.. يعلم لكل واحد من الثواب والعقاب.

قال ابن عباس والحسن:

نزلت فى النجاشى وذلك أنه لمامات نعاه جبريل لرسول الله ﷺ فقال النبى لأصحابه: قوموا فصلوا على أخيكم النجاشى.

فقال بعضهم لبعض:

يأمرنا أن نصلى على علج عن علوج الحبشة فأنزل الله: ﴿ وإنَّ منْ أَهْلِ الْكتَابِ لَمَن يُؤْمنُ بِاللَّه ﴾

* * *

هذه صورة سريعة عن جوانب من حياة النجاشى.. حياته قبل أن يصبح ملكا، فيطرد ويغترب بعيداً عن بلاده فى بلاد العرب، ثم يعود ملكا على الحبشة، يأوى المسلمين ويجمعهم، ويمنعهم عن قريش، ثم يجد فى دين الاسلام الملاذ الآمن، عندما امتلأ قلبه بالإيمان، وأيقن بنبوة محمد،

لأنها من نفسى المعين الذى انبثقت منه دعوة عيسى ابن مريم عليه السلام و.. يذكر الرواة. أنه جعفر بن عبد المطلب عندما عاد من الحبشة إلى بلاده، فقد توجه إلى المدينة، حيث كان النبى قد فرغ من قتال يهود خيبر وانتصر عليهم، وعندما قابله أعظم رسل الله قال له:

- «ما أدرى بأيها أسر.. بفتح خيبر أم بقدوم جعفر».

وكان جعفر قد تعلم من الأحباش الحجلان عند الفرح.. ومن هنا قام وهو شديد السعادة فحجل أمام الرسول.. أى رقص على الطريقة الحبشية.

ويقول لنا الشيخ الباقورى معلقا على ذلك.. وقد تنبه إلى معنى هذا اللون من الرقص العالم الجليل الإمام السهيلى، فبنى على ذلك استنتاجا لا يملك منصف للحق أن يرده أو يغض من قدره، فذلك حيث قرر السهيلى فى كتابه (الروض الأنف) أن تحجال جعفر فى حضرة رسول الله يصلح أن يكون مستندا لرجال الطرق الصوفية الذين يتواجدون حتى يحملهم ذلك الوجد على أن يرقصوا فى حلق الأذكار.

الذين يردون مثل هذا المنطق، ويتالون من هذه الحجة، لامناص لهم أن يردوا إقرار رسول الله جعفر بن أبى طالب على تحجاله فى حضرته الشريفة، وليس إلى ذلك الرد من سبيل

* * *

هذه صورة سريعة عن النجاشى، ويكفى أنه نزل فيه قرآنا.. وأصبح اسمه يردده المسلمون فى كل العصور، لموقفه الرائع من الرسالة الاسلامية الخالدة، ومن آمن بها من المسلمين، الذين وقف بجانبهم فى أصعب الظروف، وفى أشد الأوقات شدة.

صهيب الرومى

«السباق أربعة: أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وسليمان سابق فارس، وبلال سابق الحبش»

[حديث شريف]



صهيب الرومى

هو صهيب بن سنان الرومى النمرى، من أصل عربى فقد كان والده حاكما علىّ الأبلة مِنَ قبل كسرى الفرس، وكانت أمه سلمى بنت قعيد بن عمرو بن تيم من كرائم الأسر.. وكان من المفروض أن ينشأ صهيب وسط هذه البيئة المرفهه حيث كان والده واليا على الأبلة، ولكن القدر غيّر مسار حياته.. فقد أغار على الأبلة مجموعة من الروم، واستطاعوا أن يأخذوا منهم عددا من الأسرى، ومنهم الصبى صهيب، ومن هنا فقد قدر له أن يعيش فى بلاد الروم، وأن يكتسب لغتهم، وحتى عندما تكلم العربية عندما أنتقل إلى مكة، كانت العجمة تغلب عليه، ومن هنا سموه صهيب الرومى.

ويقول الرواة عن قصة أنتقاله إلى مكة من بلاد الروم، أن إحدى القوافل القرشية كانت قد ذهبت للتجارة فى بلاد الروم، وعندما رأى أحد أفراد قبيلة بنى كلب صهيبا اشتروه، وقدموا به إلى مكة حيث اشتراه عبد الله بن جدعان واعتقه.

وقد وصفه الرواة بأنه كان أحمر الوجه، غزير الشعر ماهر فى ركوب الخيل، يجيد الصيد، ويجيد عددا من الصناعات.

وذات يوم سمع أهل مكة يتحدثون عن محمد بن عبد الله ودعوته إلى دين جديد، ينبذ عبادة الأصنام ويدعو إلى التوحيد الخالص.

وأراد أن يعرف هذا الدين الجديد، وأتجه إلى دار أبى الإرقم، وهناك التقى بعمار بن ياسر الذى كان هو الآخر قد قرر اللقاء برسول الله، ودخلا على الرسول وأعلنا إسلامها.

ولم تطق مكة الدين الجديد.. وقفوا له بالمرصاد.. البعض خاف من هذا الدين الجديد الذى سوف يقلب أوضاع الحياة الإجتماعية فى مكة.

والبعض الآخر كان متمسكاً بما كان عليه الآباء والأجداد فلم يعودوا يطيقون صبرا أمام انتشار الدين الجديد.

والبعض الآخر حاربه حسدا لمحمد ﷺ، لأن هذا الدين سيعطيه الزعامة عليهم كما تصوروا.

ومهما اختلفت أسباب العداوة للدين الجديد، فقد اتحدت كلمة زعماء مكة وقادتها على محاربة الدعوة والقضاء عليها فى مهدها، خاصة وأن أتباعه لا يصلح معهم أى وعد أو وعيد.

عذبوا المستضعفين منهم، ومع ذلك فلم يرجع أحد عن دينه.

وهاجر بعضهم إلى الحبشة هربا من سفه السفهاء فى مكة.

وكان لابد للدين أن يأخذ مساره، وينتشر ليس فقط فى مكة، ولا فى شبه الجزيرة العربية وحدها، ولكن فى أنحاء العالم كله، لأنه دين عالمى، والرسول الخاتم جاء للناس كافة من هنا فقد حرص الرسول على الهجرة

إلى يثرب بعد بيعة العقبة الأولى والثانية ودخول عدد كبير من أهل يثرب فى الاسلام.

ومعنى الهجرة إلى يثرب أن الدعوة الإسلامية ستشق طريقها رغم أنف مكة، ويكون المسلمون أكثر حرية وحركة فى نشر دينهم مهما كلفهم ذلك من صعوبات.

وأمر الرسول أصحابه بالهجرة إلى المدينة وهاجر هو نفسه مع أبى بكر الصديق، عندما أوحى الله سبحانه وتعالى له بالهجرة.

وإذا بمكة تثور..!

وإذا بها تبحث عن الرسول وأصحابه فى كل مكان، ولكنهم لم يعثروا عليه بعد أن اختبأ فى غار ثور ثلاثة أيام، ثم اتجه بعدها إلى المدينة، حيث قوبل هناك بحفاوة منقطعة النظير.. وعرفت مكة أنها سوف نجابة قوة جديدة، وأنها لن تستطيع قهر الاسلام، وأنه سوف يواجه القوة بالقوة.. والسلاح بالسلاح.. وأن النصر سيكون حليف هذه الدعوة الجديدة.

وكان على صهيب أن يهاجر هو الآخر إلى المدينة.. وركب راحلته، وحمل سلاحه، ليتوجه نحو المدينة، ولكن نفرا من قريش اعترضوا طريقه.

ولندع سعيد بن المسيب يتحدث عن هجرة صهيب فيقول:

أقبل صهيب مهاجرا نحو المدينة فتبعه نغر من قريش، فتزل عن راحلته، وأخرج ما فى كتانته من سهام ثم قال:

يا معشر قريش لقد علمتم أنى من أرماكم رجلا، وأيم الله لا تصلون إلىَّ حتى أرمى بكل سهم معى فى كنانتى، ثم اضربكم بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء، فافعلوا ما شئتم، فإن شئتم دللتكم على مالى وخليتم سبيلى».

قالوا: نعم.. نفعل وسار حتى المدينة، ورسول الله ﷺ كان يجلس بقباء ومعه أبو بكر وعمر وبين أيديهم رطب قد جاءهم به كلثوم بن الهدم، وصهيب قد رمد بالطر وأصابته مجاعة شديدة فوقع بالرطب فقال عمر: يا رسول الله ألا ترى إلى صهيب يأكل الرطب وهو رمد؟

فقال رسول الله ﷺ :

تأكل الرطب وأنت رمد؟

فقال صهيب:

وإنما آكله يشق عينى الصحيحة فتبسم رسول الله ﷺ وجعل صهيب يقول لأبى بكر: وعدتنى أن تصحبنى فرحت وتركتنى ويقول:

وعدتنى يا رسول الله تصحبنى فانطلقت وتركتنى، فأخذتنى قريش فحبسونى فاشتريت نفسى وأهلى بمالى.

فقال رسول الله ﷺ:

ربح البيع ونزل قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [البقرة:٢٠٧].

* * *

وعاش الرجل مع الصحابة والأنصار فى المدينة، وقد أخى الرسول بينه وبين معاذ بن جبل وشهد مع الرسول المعارك كلها، وقد سعد يوم انتصار المسلمين فى معركة (بدر) ورأى كيف التف الصحابة والأنصار بالرسول فى هذه المعركة الفاصلة فى تاريخ الإسلام، وكيف اندحر الكفر، وسقط أئمة الغطرسة والجهل من المكيين، وأرتفعت راية الأسلام، ورأى بعينه أن الإسلام يقاوم بقوة السلاح من أرغموه على ترك بلده، وأنه لم يعد ولن يعد هناك أمام المسلمين إلا الذود عن دينهم وشرفهم ومعتقداتهم.

وكان صهيب يقول:

لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدا قط إلا كنت حاضره، ولم يسر سرية قط إلا كنت حاضرها، ولا غزا غزوة قط إلا كنت فيها عن يمينة أو شماله، وماخافوا أمامهم قط إلا كنت أمامهم، وما خافوا وراءهم قط إلا كنت وراءهم، وما جعلت رسول الله ﷺ بينى وبين العدو قط حتى توفى»

* * *

ويقول الرواة عنه: إنه كان مجاهدا عظيما بسيفة، كما كان مجاهدا عظيما فى ماله، فقد ترك ماله كله فى سبيل الله، حتى تخلى مكة سبيله، وقد أيد الرسول وجهة نظرة هذه وقال له كلمته الآثرة:

ربح البيع يا أبا يحيى

وكان جواد كريما.. حتى قال له الفاروق عمرو بن الخطاب يوما:

يا صهيب. ما فيك شىء أعيبه إلا ثلاث خصال.

آراك تنسب عربيا ولسانك أعجمى، وتكنى باسم نبى على اسم يحيى بن زكريا عليها اسلام)

وتبذر مالك!

فقال صهيب:

أما تبذيرى مالى فما أنفقه إلا فى حق. وأما كنيتى فكنانيها النبى ﷺ وأما انتمائى إلى العرب فإن الروم سبتنى صغيرا فأخذت لسانهم

* * *

وتمضى به الأيام.. وهو سعيد باشتراكة فى كل الغزوات، وهو سعيد أكثر بإيمانه، وأنه عرف طريق الصواب يوم عرف قلبه نور الأيمان.

وهو سعيد بهذه الصحبة برسول الله ﷺ وصحابته الكرام.

لقد وجد نفسه فى الاسلام وبالإسلام، ومرت أيام رسول الله. والتقى بالرفيق الأعلى. وحزن عليه صهيب حزنا شديدا، فهو الذى كان يهش فى وجهه دائما.

وهو الذى كان يناديه أبا يحيى.

وهو الذى قال:

السياق أربعة:

أنا سابق العرب

وصهيب سابق الروم وسليمان سابق الفرس. وبلال سابق الحبش وقد أسلم هو وعمار بن ياسر فى يوم واحد، وكان عمره لم يتجاوز العشرين.

قال مجاهد:

أول من أظهر إسلامة سبعه:

رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وبلال، وصهيب، وخباب، وعمار وسميه أم عمار،

* * *

وما أكثر من مكان صهيب يجلس إلى نفسه، ويتذكر ما مر به فى واقع دنياه..

يوم كان يلعب صبيا على شاطئ الفرات، ووالده حاكما على الأبله من قبل الفرس.

ويوم عرف الغربة ولاغتراب والعبودية يوم أسر وأخذوه إلى بلاد الروم.

ويوم ذهب إلى مكة، وبيع كرقيق، ثم حرره سيده عبد الله بن جدعان واعتقه، وكان يتذكر أيامه فى مكة قبل الرسالة، ويوم تفتح قلبه للإيمان بالدعوة الجديدة، وكيف رأى الدنيا غير الدنيا، والحياة غير الحياة، وأن الدنيا ماهى إلا جسر لعالم أفضل وأجمل وأروع وأخلد.

ولم ينسى كيف عذبوه حتى يعود إلى دين مكة ورفض.. وصبر.. حتى هاجر إلى المدينة ليكون فى صحبه آخر رسل الله.

وها هو الرسول الكريم يغادر دنيانا بعد أن أقام العدل والتسامح والرحمه، وبنى أمه جديدة تؤمن بالتوحيد الخالص.

وشاهد صهيب ألق الانتصارت الاسلامية فى عهد أبى بكر وعمر.. وكيف اتسعت دائرة الاسلام لتفضى على دولة الفرس، وتقلص الامبراطورية الرومانية، وتؤخذ الشام ومصر والشمال الأفريقى كله..

انتصارات رائعة.. بل بالغة الروعة.

* * *

ولكنه يفجع وهو يرى المؤامرة الدنيئة التى دبرت لاغتيال الفاروق عمر بن الخطاب ويعتريه الحزن الشديد، عندما رأى الخليفة العادل العظيم عمر بن الخطاب وهى تغتاله يد السغاله والغدر والمؤامرة.

ويأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن يصلى (صهيب بالناس) إماما إلى أن يختاروا الخليفة الجديد.

وصلى صهيب بالناس أماما حتى ألت الخلافة لعثمان بن عفان

* * *

وتأتى أيام عثمان..

وتزداد الفتوحات الاسلامية، وتنطلق الحضارة الاسلامية فى بقاع كثيرة، ويكون أول أسطول للاسلام انتصر على الروم فى معركة (ذات الصوارى) ..

وكانت هذه الأيام امتداد للفتوحات العظيمة لعمر بن الخطاب إلا أن الفتنة الكبرى تندلع، ويقتل عثمان رضى الله - مظلوما - ويؤول الأمر لعلى بن أبى طالب.

* * *

لم يكن صهيب من المؤيدين للإمام على، ولكنه أثر الصمت، وابتعد

عن الفتنة، ولا يثير من قليل أو بعيد أى شيء عن هذه الفتنة.. ويؤيد ذلك ما ذهب إلى ابن الأثير، وهو يورد هذه الحادثة:

لقد سار كعب بن سور إلى أهل المدينة يسألهم. فلما قدمها اجتمع الناس إليه وكان يوم جمعه فقال:

يا أهل المدينة أنا رسول أهل البصرة إليكم، نسألكم: هل أكره طلحه والزبير على بيعه على أم أتياها طائعين؟

فلم يجبه أحد إلا أسامة بن زيد رضى الله عنه فإنه قام وقال:

إنهما بايعا وهما مكرهان!

فواثبه سهل بن حنيف والناس، فقام صهيب وأبو أيوب فى عده من أصحاب النبى ﷺ ومعهم محمد بن سلمه حين خافوا أن يقتل أسامه فقالوا:

اللهم نعم.. فتركوه وأخذ صهيب أسامه بيده إلى منزلة وقال له:

أما وسعك ما وسعنا من السكوت؟

قال: ما كنت أظن الأمر كما أرى.

* * *

وكانت وفاة صهيب سنه ثمان وثلاثين من الهجرة (٦٥٨م) وقيل سنه تسع وثلاثين (٦٥٩م) وكان ابن ثلاث وسبعين سنة، ودفن فى البقيع. رحمه الله.

●●●

وتبقى كلمة

قرأنا فى الصفحات السابقة بعضا من سيرة أصحاب رسول الله من الأعاجم، وهؤلاء قد اسلموا وحسن إسلامهم، وشهد لهم الرسول ﷺ بأنهم كانوا شخصيات تشكلت بمبادىء القرآن الكريم وسنه رسوله ﷺ فكان رمزا للهدى والتقى ومعرفة الله، وكانت سيرتهم من أحسن السير التى تداولت ما فيها من قيم ورفعه ورقى وحضارة العصور المختلفة.. وهذا دليل على أن الإسلام لا يعرف التعصب ولا التفرقة بين شعب وشعب، ولا بين لون ولون.. الكل أمامه سواء ولا يرتفع الإنسان عن قامة أخيه فى الإسلام إلا بالتقوى والعمل بما جاء فى الكتاب والسنة .

وعرفنا من هؤلاء من كان ملكا كالنجاشى فلم يزده الإسلام إلا تقوى وعدالة.

وعرفنا منهم من كان ابنا للنجاشى، وكيف ارتفع به الاسلام إلى قمة سامقة، وكان موضع احترام صحابة الرسول الله ﷺ لسابقته واعترافا بفضل والده الذى وقف إلى جانب المؤمنين فى غربتهم، ولم يسلمهم لأعدائهم من أهل مكة وعرفنا من كان فى قامة سليمان الفارسى الذى خرج باحثا الحقيقة، تاركا رغد العيس فى ظل والده، لينقلب بين بلاد الفرس والشام وبلاد العرب بحثا عن أخر رسل السماء، حتى إذا ما عرف الحقيقة، كان عبدا صالحا مخلصا قلبه لله، وحتى عندما أصبح حاكما على المدائن لم

تصل إلى قلبه ذرة من كبرياء، بل ظل العبد الزاهد الورع الحريص على مصالح الرعية دون أن ينسى أن يكون عبدا ربانيا مخلصا لدينة.

إن هؤلاء الصحابة كانوا نور هداية للناس فى كل العصور، وعرفوا أن طريق خلاصهم والسمو إلى عالم روحى رائع هو العمل بكتاب الله وسنه الرسول.. فأحبهم الناس، وكانت عبراتهم تسيل من عيونهم عندما كانوا يسمعون صوت بلال مؤذن الرسول عندما يرتفع بالأذان فيذكرهم بأيام رسول الله وعصره الذهبى الذى أخرج الناس من الظلمات إلى النور، لأنه نادى بدين عالمى. الناس فيه سواسية، ومن هنا فقد غزا هذا الدين العقول والقلوب، ومدّ أضواءه إلى كل الدنيا.. وبهرت حضارته كل الذين عرفوا هذا الدين بوعى وفهم وعمق، فهو على رغم بساطته هو دين التوحيد الخالص، وهو دين السمو الأخلاقى.. فهى دعوة فى جعبتها كما يقول فتحى رضوان الشىء الكثير.. فى جعبتها عقيدة كاملة، وشريعة ذات أصول وفروع، تنظم مالم تنظمه غيرها من الدعوات السابقة والدعوات اللاحقة، ولكن الأخلاق عند الإسلام، هى وحدها التى نجعل للقانون سلطانا، وتجعل للعقيدة إيمانا.. وهى التى تخلق الرجال الذين يقودون الأمم وينشئون الدول».

ويكفى أن رسول الله العظيم الذى اقتدى به هؤلاء الرجال الكبار.. أنه أحيا شعبا، وأنشأ امبراطورية، وأسس دينا كما يقول المستشرق ديزريه بلانشبه.

●●●

المراجع

- القرآن الكريم.

- كتب الأحاديث.

- الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى - تحقيق د. على حسن الخربوطلى.

- طبقات بن سعد

- رجال حول الرسول خالد محمد خالد

- رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا د. عبد الرحمن أبو عميره

- قطوف من أدب النبوة أحمد حسن الباقورى

- النبى العربى أحمد التاجى

- صفوة التفاسير محمد على الصابونى

- شباب قريش فى بدء الإسلام عبد المتعال الصعيدى

- الاسلام والانسان المعاصر فتحى رضوان

- فى جولة مع المستشرقين عبد الخالق سيد أبو رابية

●●●

كتب المؤلف

١ـ أضواء من السيرة العطرة

٢ـ خلافة أبو بكر الصديق

٣ـ خلافة عمر بن الخطاب

٤ـ خلافة عثمان بن عفان

٥ـ خلافة على بن أبى طالب

٦ـ الأمام الحسين

٧ـ المهاجرين إلى الله

٨ـ أولو الغرم من الرسل

٩ـ أبطال الجهاد فى الاسلام

١٠ـ حجة الاسلام الامام الغزالى

١١ـ العوالم الخفية والقرآن الكريم

١٢ـ ألف ليلة وليلة بلغة العصر.

١٣ ـ السيدة زينب رضى الله عنها.

١٤ـ المبشرون بالجنة

١٥ـ بيوت الله

١٦ـ الإمام الشاذلى

١٧- رابعة العدوية

١٨- هؤلاء ورحلة الزكريات

١٩- السحار والنكر الاسلامى

٢٠- حديث الروح مع الشيخ الشعرواى

٢١- مع مشاهير الفكر والأدب

٢٢- المرأة المسلمة وأمهات المسلمين

٣٣- فاطمة الزهراء

٢٤- حوادث غيرت مجرى التاريخ

٢٥- ذات النطاقين اسماء بنت أبى بكر

٢٦- اليوصرى شاعر البردة

٢٧- ابن الفارض

٢٨- ثروت أباظة أديبا

٢٨- مصطفى محمود مفكرا إسلاميا

٢٩- هؤلاء ورحلة الزكريات

فهرس

